

جامعة الشهيد حمه لخضر - الوادي
كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية
قسم العلوم والإنسانية



التعليم ببلاد المغرب في العهد الموحد

524-668هـ/1130-1270م

مذكرة مكملة لمتطلبات الحصول على شهادة الماستر في تاريخ المغرب العربي الوسيط
والحديث

إشراف الأستاذ:

من إعداد الطالب:

د.البشير غانية

-حمد سبع

-لخضر ربيع

الأستاذ	الصفة	مؤسسة الانتساب
أ/عمار غرايسة	رئيس الجلسة	جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي
د/البشير غانية	مشرفا ومقررا	جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي
أ/ علال بن عمر	عضوا مناقشا	جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي

السنة الجامعية: 1437-1438هـ/2016/2017م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الإهداء

نهدي هذا العمل المتواضع إلى:

* إلى والدينا أبائنا وأمهاتنا أطال الله في أعمارهم.

* إلى زوجاتنا ورفيقات دربنا.

* إلى كل أبنائنا وبناتنا فلذات أكبادنا.

فنستسمح كل هؤلاء الأحباب الذين ذكرناهم ونعتذر لهم عن تفريطنا في حقوقهم أثناء انشغالنا في إنجاز هذه المذكرة.

* إلى شموع الهدى نجوم العلا لولاهم لما أنجزنا هذا العمل أساتذتنا الكرام الذين رافقونا في رحلة العلم وعلى رأسهم الأستاذ المشرف الدكتور البشير غانية.

* إلى كل من أحب التاريخ وعمل من أجله، وإلى كل طلبة الماستر دفعة 2017 بجميع أفواجها.

* إلى كل من ساعدنا في إنجاز هذه المذكرة من أصدقاء أو زملاء في العمل بكتابة أو بفكرة أو حتى وجهة نظر.

* إلى كل من أحبته قلوبنا ونسته أقلامنا.

✓ حمد سبع

✓ لخضر ربيح

شكر وعرفان

نتقدم بأسمى عبارات الشكر والتقدير بعد التوفيق من الله وحسن عونه إلى أستاذنا المشرف الدكتور البشير غانية الذي كان له الفضل الأساسي في إعداد هذه المذكرة، برسمه الملامح الأولى لكيفية انجازها برسم خطتها وفك عقدها وبلورة عناصرها، وببذله مجهودات معتبرة أثناء التجميع والفرز والكتابة، فكان لنا خير مثال في العمل والمثابرة والتصويب والتصحيح والتوجيه وشدّ من أزرنا وسار بنا قدما إلى أن أتممنا هذه المذكرة في شكلها النهائي.

قائمة المختصرات

تح: تحقيق

تع: تعليق

ج: جزء

مج: مجلد

ص: صفحة

هـ: هجري

م: ميلادي

ت: توفي

(د ط): دون طباعة

(د ب): دون بلد

(د س): دون سنة

(د د ن): دون دار شر

صفحة: p

مقدمة

يعتبر قدوم المهدي بن تومرت إلى بلاد المغرب الإسلامي بحركته الدينية الذي كان يرمي من ورائها للتوسع في العلم أكثر مما يقتضيه الدين، وتجلّى ذلك من خلال الانجازات التي قام بها، كما واصل خلفاؤه على دربه، فقد عملوا على بناء المؤسسات التعليمية بمختلف أنواعها، مما أدى إلى تطور العلم وبروز نهضة فكرية ببلاد المغرب الإسلامي خلال عهد الموحدين نتيجة الأساليب والمناهج التي أدخلت على نظام التعليم خلال هذا العهد، وهو ما سنقوم بدراسته خلال هذه المذكرة تحت عنوان التعليم ببلاد المغرب في العهد الموحيدي (524-668هـ/1130-1270م).

أهمية الموضوع

تتمثل أهمية الموضوع في التعرف على النظام التعليمي ببلاد المغرب الإسلامي (الأدنى والأوسط والأقصى) خلال العهد الموحيدي أي من سنة 524-668هـ/1130-1270م، ودراسته خلال هذه الفترة والإحاطة بجميع الملبسات التاريخية، والتعرف على أهم المشاكل التي واجهت أجدادنا في ممارساتهم التعليمية والتعلمية.

أسباب اختيار الموضوع

هناك عدة أسباب موضوعية وأخرى شخصية كانت حافزا لنا لاختيار هذا الموضوع فمن الأسباب الموضوعية نذكر:

-الوقوف على واقع التعليم ببلاد المغرب خلال العهد الموحيدي ومعرفة الحقائق التي شهدتها النهضة العلمية خلال هذا العهد. وكذلك الرغبة في معرفة الظاهرة العلمية معرفة عميقة في بعدها التاريخي ومحاولة رسم صورة واضحة المعالم عن التعليم بالمغرب الإسلامي خلال عهد الموحدين. وأيضا التعرف على المشاكل التي واجهت أسلافنا في نشر العلم.

أما عن الأسباب الشخصية التي جعلتنا نختار هذا الموضوع نذكر بالخصوص السبب الآتي:

-إعجابنا بخلفاء الدولة الموحدية الذين اتصفت فيهم الصبغة العلمية فكانوا فقهاء ومحدثين ومفسرين وفلاسفة وأطباء ، فلم تمنعهم مهامهم السياسية على نشر العلم وتشجيع مؤسساته التعليمية والاهتمام بالعلماء ورعايتهم.

إشكالية الموضوع

إن التعرف على واقع التعليم ببلاد المغرب الإسلامي خلال العهد الموحي يجعلنا نطرح الإشكال الآتي:

-كيف كان واقع التعليم ببلاد المغرب الإسلامي، وما طبيعة النظام التعليمي الذي تبناه المغاربة خلال العهد الموحي؟.

ويتفرع على هذا الإشكال الأسئلة الفرعية الآتية:

-ما هو دور ابن تومرت وخلفائه في السياسة التعليمية؟

-ماهي أهم المؤسسات التعليمية وأساليبها؟

-ما هي أهم العلوم التي شهدتها هذه الفترة؟

المناهج المتبعة

استعملنا في هذه الدراسة عدة مناهج، منها المنهج الوصفي الذي استعملناه في ذكر ووصف جغرافية بلاد المغرب الإسلامي، كما استعملنا المنهج التاريخي التحليلي نظرا لطبيعة الموضوع وذلك لاستنباط الخصائص التاريخية التي كانت متبينة أحيانا بين المصادر.

خطة البحث

لمعالجة إشكالية الموضوع والإجابة على التساؤلات الفرعية قسمنا عملنا إلى مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة، حيث خصصنا الفصل الأول للحديث عن الموحدين وجهودهم التعليمية مع إعطاء فكرة عن جغرافية بلاد المغرب في تلك الفترة.

أما الفصل الثاني فتناولنا فيه المؤسسات التعليمية وأساليب ونظام التعليم بذكر مراحل ومناهجه وطرقه.

وتطرقنا في الفصل الثالث إلى ذكر أهم العلوم وعلمائها حيث قسمناها إلى علوم نقلية (شملت العلوم الدينية والعلوم اللغوية) وعلوم عقلية (تمثلت في الجغرافيا والفلك والرياضيات والفلسفة والطب)، وتوصلنا إلى استنتاج عدة نقاط جمعناها في خاتمة لهذه الدراسة.

صعوبات البحث

واجهنا بعض الصعوبات تمثلت في تشابه المعلومات في مصادر التراجم والمناقب، حيث لا نجد معلومات جديدة بين مصدر وآخر، وفي نفس الوقت وجدنا تضاربا واختلافا في تواريخ الميلاد والوفيات لبعض العلماء، وفي تواريخ بعض الأحداث. ومن الصعوبات أيضا شح المعلومات التي تناولتها المصادر في مناهج وطرق التعليم، حيث ركزت جل هذه المصادر في التعريف بالعلماء وأهم العلوم.

دراسة المصادر والمراجع

لقد اعتمدنا في دراستنا هذه على عدة مصادر متنوعة بين المصادر التاريخية والمصادر الجغرافية، وكتب السير والتراجم ومن هذه المصادر نذكر:

-كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر وأخبار العجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر لعبد الرحمن بن خلدون (ت: 808هـ/1406م) الذي أفادنا كثيرا في مجالي السياسة والتعليم لدولة الموحدين لاسيما في مناهج التعليم وطرقه وعلومه إلا أنه لم يفصل كثيرا في أعلام العلوم.

-كتاب المعجب في تلخيص أخبار المغرب لعبد الواحد المراكشي (ت: 669هـ/1070م) الذي عاصر الدولة الموحدية، فكان شاهد عيان لكثير من الأحداث التي شهدتها هاته الفترة. ولقد استفدنا منه خاصة في الحديث عن دور خلفاء الموحدين في ازدهار وتطور الحركة العلمية والفكرية.

-كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار لمؤلف مجهول الذي أفادنا بمعلومات تاريخية وجغرافية لبلاد المغرب في عصر الموحدين بصفته معاصرا لهذه الدولة.

-كتاب الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة لابن عبد الملك المراكشي(ت:703هـ/1303م) الذي أفادنا كثيرا في تراجم الكثير من العلماء في عصر الموحدين إلا أن بعض أجزائه تعرضت للضياع وهو ما جعلنا نفقد بعض تراجم علماء آخرين.

الفصل الأول

الموحدون ببلاد المغرب وجهودهم

التعليمية

أولا -جغرافية بلاد المغرب

ثانيا -لمحة تاريخية عن دولة الموحدين

ثالثا -منهج ابن تومرت في التعليم

رابعا -جهود عبد المؤمن وخلفائه التعليمية

أولاً - جغرافية منطقة المغرب

يرتبط ظهور مصطلح المغرب بعصر الفتنة بين علي ومعاوية أي قبل منتصف القرن الأول الهجري ويظهر أنه أستعمل في هذه الفترة للدلالة على الجزء الغربي من العالم الإسلامي، الذي كان يشمل مصر بملحقاتها والشام وما جاوره ويقابله من الناحية الأخرى من المشرق الإسلامي الذي كان يشمل العراق وفارس وما وراء النهر¹، فابن الأثير يشير إلى أن علياً أثناء استعداده في الكوفة لحرب معاوية في الشام خاطب رجاله بقوله: "تجهزوا للمسير إلى عدوكم من أهل المغرب" وأرسل إلى عامله على البصرة يأمره بالاستعداد وتهيئة الناس ويقول له: "قد اجمعنا على المسير إلى عدونا من أهل المغرب"².

أما الاصطخري فيعتبر المغرب نصفين، نصفاً شرقياً ونصفاً غربياً هو الأندلس ويجمعهما في مصور جغرافي واحد³. ويذكر ابن خلدون أن مصطلح المغرب سمي بذلك للجهة التي تغرب فيها الشمس عكس المشرق وتطلق هذه التسمية على المنطقة الواقعة غرب مصر من برقة طرابلس شرقاً إلى المحيط الأطلسي غرباً ومن شواطئ البحر المتوسط شمالاً إلى أواسط الصحراء الكبرى جنوباً ويشمل ليبيا وتونس والجزائر ومراكش وموريتانيا⁴.

وقد اختلفت الآراء في تحديد مدلول مصطلح المغرب فهناك من يرى أن المغرب يشمل شمال إفريقيا والأندلس⁵ والبعض الآخر يرى أن المغرب يطلق على جميع الأقاليم الواقعة غرب

¹ - موسى لقبال: المغرب الإسلامي، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981م، ص14.

² - عز الدين أبو الحسن بن علي بن محمد بن الأثير: الكامل في التاريخ، تحقيق محمد يوسف الدقاق، ج5، ط4، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003م، ص196.

³ - أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي الاصطخري: المسالك والممالك، (د ط)، دار صادر، بيروت، (د س ن)، ص33.

⁴ - عبد الرحمان ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق خليل شحادة، ج6، ط2، دار الفكر، بيروت، 1988م، ص101.

⁵ - أبو القاسم النصيبي ابن الحوقل: صورة الأرض، (د ط)، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1979م، ص65.

مصر¹. وقد امتدت الدولة الموحدية من المحيط الأطلسي غربا إلى طرابلس شرقا من الأندلس شمالا إلى قلب الصحراء جنوبا وتولى حكمها أربعة عشر أميراً باعتبار المهدي².

أما حدوده فيحده شمالا البحر المتوسط (بحر الروم)، وغربا المحيط الأطلسي ونظرا لإحاطة البحرين بالبلاد شمالا وغربا فسميت بذلك جزيرة المغرب، أما جنوبا يحدها الصحراء الكبرى وشرقا مصر³.

بعد الفتح الإسلامي في بلاد المغرب، قسم المغرب إلى ثلاث مناطق طبيعية ويرجع هذا التقسيم لقرب لمنطقة وبعدها عن بلاد المشرق الإسلامي وهي المغرب الأدنى والأوسط وأخيرا المغرب الأقصى⁴.

ثانيا- لمحة تاريخية عن دولة الموحدين

شهد المغرب الإسلامي كغيره من أجزاء الدولة الإسلامية قيام إمارات عدة، بعضها كان له الأثر الكبير في نشر الإسلام في ربوع المغرب الإسلامي وتحقيق الوحدة الإسلامية، وتعد الدولة الموحدية من أبرز الدول التي قامت في المغرب على أنقاض دولة المرابطين، إلا أنها سعت بكل قوة منذ بداية ظهورها إلى إيجاد خلافة إسلامية قوية تحل محل الخلافتين المتناحرتين العباسية في المشرق والفاطمية في مصر وأخذت على عاتقها قيادة المسلمين في المغرب وقد مرت هذه الدولة بمراحل هي:

¹ - كمال السيد أبو مصطفى: محاضرات في تاريخ المغرب والأندلس، (د ط)، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، 2006م، ص1.

² - عبد المجيد النجار: المهدي بن تومرت حياته وأرائه وثورته الفكرية والاجتماعية وأثره بالمغرب، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983م، ص378 ; charelandre julien: Histoire de l'Afrique du nord (des origines) ; Paris, 1994; pp90-92 Edition payot arrivages ;

³ - أحمد القاضي المكناسي: جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام بمدينة فاس، ج1، (د ط)، دار المنصور للطباعة، الرباط، 1973م، ص11.

⁴ - ابن عذاري المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ج س كولان وليفني بروفنسال، ج1، (د ط)، دار الثقافة بيروت، لبنان، 1983م، ص5.

1- مرحلة النشأة:

نشأت دولة الموحيدين على يد محمد بن تومرت الهرغي المصمودي من قبيلة هرغة¹ أحد بطون قبائل مصمودة التي تسكن في المغرب²، ولد في مدينة ايجلي³ وهو من أسرة متدينة تتصف بالعلم والدين، وكان ملازما للمساجد منذ بدء شبابه⁴.

ولقد نشأ بن تومرت في أسرة من أواسط القوم غير بارزة بالجاه والثروة و تلقى دراسته الأولى بالكتاتيب بقريته على عادة أهل المغرب، ولما شب أصبح يدور في ذهنه الارتحال في طلب العلم لأنه كان يريد الحصول على الشهرة العلمية وذلك لما يتمتع به العلماء من مكانة مرموقة في المجتمع، كما انه كان متأثرا ببعض علماء المشرق، لذا غادر بن تومرت طالبا للعلم⁵، وتشير المصادر التاريخية إلى أن بن تومرت قد عبر قبل ذلك إلى الأندلس وتوجه إلى قرطبة⁶ وعندما لم يجد فيها العلوم التي تحقق رغبته لم يبق بها واتجه إلى المشرق، ولما وصل إلى مدينة الإسكندرية بمصر لم يمكث طويلا إذ ذهب إلى الحجاز لأداء فريضة الحج⁷ ثم توجه بعدها إلى بغداد التي كانت من أعظم الحواضر الإسلامية في العلم والأدب والحضارة وهكذا درس بن تومرت على يد علماء مصر والحجاز والعراق علوم أصول الدين والفقه والحديث⁸.

¹ - هرغة: وهي بطن من بطون قبيلة مصمودة الموجودة في المغرب الأقصى. للمزيد ينظر: عبد المجيد النجار: المرجع السابق، ص53.

² - الذهبي شمس الدين: سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرنؤوط، ط3، مؤسسة الرسالة، بيروت، (د س)، ص539.

³ - ايجلي: قرية صغيرة تقع على المشارف الشمالية للأطلس الصحراوي في اتجاه وادي سوس. للمزيد ينظر: مؤلف مجهول:

مفاخر البربر، تحقيق عبد القادر بوباية، (د ط)، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، 2005م، ص202.

⁴ - ابن أبي زرع: الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، (د ط)، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972م، ص111.

⁵ - نفسه، ص111.

⁶ - قرطبة: هي مدينة عظيمة بالأندلس كانت مملكة ملوك بني أمية، بينها وبين البحر خمسة أيام، ولا يوجد في المغرب مدينة تشبه قرطبة، وذلك لكثرة سكانها واتساع مساحتها، ويعد مسجدها من أكبر مساجد إلا سلام. للمزيد ينظر: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج4، ط2، دار صار، بيروت، 1993م، ص324.

⁷ - أبو العباس أحمد بن خالد الناصري: الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري، ج2، (د ط)، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1997م، ص71.

⁸ - عبد المجيد النجار: المرجع السابق، ص63.

ويؤكد ابن خلكان¹ أن بن تومرت التقى الإمام أبا حامد الغزالي² صاحب كتاب إحياء علوم الدين وأخذ العلم عنه، ومن شيوخه أيضا أبو بكر محمد بن الوليد الطرطوشي³.

كما التقى بن تومرت أئمة الأشعرية⁴ وأخذ عنهم واهتم بطريقتهم واستطاع أن يقنع أهل المغرب بالأخذ بمذهب الأشعرية في العقائد كافة، وبعد أن أكمل دراسته في المشرق توجه إلى المغرب لنشر دعوته الجديدة وكان ذلك سنة (510هـ-1116م)، متشعبا بأفكار الأشاعرة والغزالي.

وكان ابن تومرت يتقن اللغتين العربية والبربرية، فعلم أتباعه كتاب التوحيد باللسان البربري وأمرهم بحفظه، ومن لم يأخذ بهذا التوحيد كان يصفه بالكافر ولا تجوز إمامته ولا يؤكل طعامه لذا أصبح هذا التوحيد عند قبائل المصامدة مقدسا مثل القران الكريم، كما أنه ألف لقبائل المغرب كتباً بالبربرية منها كتاب ما يسمى القواعد وآخر يسمى الأمانة وهكذا استطاع بن تومرت أن يستغل جهل هذه القبائل، فذاع صيته في مختلف مناطق المغرب وأصبح اسمه أسطورة عصره بوصفه الرجل المنقذ وهو الذي يغير تاريخ المسلمين ويخرجهم من الظلم الذي هم فيه⁵ وخلال عودته إلى وطنه استمر في منهجية القائم على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في كل قرية حل بها، ولما نزل ببجاية وبدأ خبره ينتشر في أغلب المناطق وأخذ عامة أهل المغرب يتداولونه في الحديث بأن هناك رجلا زاهدا في الدنيا عالما بأمور الدين يأمر

¹ - أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أنباء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، ج5، (د ط)، دار صادر، بيروت، (د س)، ص46.

² - أبو حامد الغزالي: هو محمد بن محمد الغزالي الطوسي من علماء المسلمين ولد سنة (450هـ-1058م) له نحو 200 مصنف أشهرها كتاب علوم الدين. للمزيد ينظر: الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي: البداية والنهاية، تحقيق عبد الله التركي، ج16، ط1، دار الهجر، مصر، 1998م، ص213.

³ - أبو بكر الطرطوشي: هو محمد بن الوليد بن محمد بن خلف بن سليمان القرشي الفهري المعروف بابن أبي رندقة، وكان فقيها عالما زاهدا ولد سنة (450هـ/1095م)، للمزيد ينظر: ابن خلكان: المصدر السابق، ص262.

⁴ - الأشعرية: هم أتباع أبي الحسن بن إسماعيل الأشعري المنتسب إلى أبي موسى الأشعري وهم من أهل السنة والجماعة ولكن بعض علمائهم بعصمة الأئمة وكانوا يرون أن الله سبحانه لا يجوز أن يوصف بصفة تدل على الحدوث والجسمية. للمزيد ينظر: محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني: الملل والنحل، تحقيق محمد سيد كيلاني، ج1، (د ط)، دار المعرفة، بيروت، 1404هـ، ص94.

⁵ - ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص111.

بالمعروف وينهى عن المنكر، وعندما علم حاكم بجاية بخبره خاف على نفسه فأمره بالخروج من المدينة¹ فغادرها بن تومرت إلى قرية اسمها ملالة² وفيها التقى بعبد المؤمن بن علي³.

وقام بإصلاحات دينية وعباً أنصاره وغرس الثقة في نفوسهم، وبعد أن كثر أتباعه أدرك أنه يستطيع مواجهة المرابطين، لهذا اتهمهم بالكفر والتجسيم وتظليل الناس فكان يأمرهم بالخروج عن طاعة أمير المسلمين علي بن يوسف، ويستميل صغار السن وأهل الجهل الذين تحكمهم العصبية القبلية، أما أهل العلم والعقل فكانوا يحذرون الناس منه⁴، بعدها بدأ يمهّد لفكرة المهدي المنتظر وحاول أن يرسخها في عقول أصحابه عن طريق الخطب والدروس كما أن ابن تومرت استفاد من كثرة الأحاديث التي كانت تروج بالمغرب والتي تنتبأ بظهور المهدي المنتظر⁵، فاستغل هذا الجانب ولما كثر أتباعه أعلن المهديّة وطلب من أتباعه أن يبايعوه، فبايعوه على ما بايعة صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة 14 من رمضان (515هـ/1121م) ولقب نفسه بالمهدي المنتظر⁶.

فدخل الناس في طاعته أفواجا واتخذوا سنته شريعة ومنهاجا، وبعد أن تأكد من إخلاص قبائل البربر أسس دولته الفتية وأرسى أركانها ونظمها، لذلك بقي أمامه أن يحشد الناس ضد المرابطين الذين اتهمهم بأنهم يجسمون الله ونعتهم بالكفر⁷، بعدها خطب بالناس وأمرهم بجهاد المرابطين وجعله واجبا عليهم.

¹ - ابن الأثير: المصدر السابق، ج9، ص196.

² - ملالة: هي قرية بالمغرب الأدنى بالقرب من بجاية وتقع على ساحل بحر المغرب. للمزيد ينظر: ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج5، ص189.

³ - عبد المؤمن بن علي: هو عبد المؤمن بن علي الكومي ولد بقرية تاجرة قرب مدينة ندرومة بتلمسان سنة (487هـ/1094م)، حيث تولى قيادة الموحديين بعد وفاة المهدي، حيث استطاع تكوين إمبراطورية من الأندلس إلى أعماق الصحراء الإفريقية توفي سنة (528هـ/1163م). للمزيد ينظر: ابن عذارى المراكشي: قسم الموحديين المصدر السابق، ص79. De Beylie (L) :la kalaa des Bèni Hammad :une capitale de Barbère de L'Afrique du nord au XI siècle ;Ernest Laroux éditeur ;paris ;1909;p14

⁴ - ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص303.

⁵ - ابن خلكان: المصدر السابق، ص51.

⁶ - عبد الرحمان الجيلالي: تاريخ الجزائر العام، ج2، (د ط) ، دار الأمة، الجزائر، 2010م، ص151.

⁷ - محمد بن تومرت: أعز ما يطلب، تقديم وتحقيق عبد الغني أبو العزم، (د ط)، مؤسسة الغني للنشر، الرباط، (د س)، ص244.

خاض الموحدون معارك عديدة ضد المرابطين كانت أعنفها معركة البحيرة 524هـ¹ حيث زحف الجيش الموحي على مراكش وحاصرها، لكن المرابطين كانوا أكثر قوة منهم فهزم الجيش الموحي في هذه المعركة التي أصيب فيها عبد المؤمن بجروح بليغة والتي توفي بعدها المهدي بن تومرت متأثراً بمرضه كما أوصى المهدي قبل وفاته أن يخلفه عبد المؤمن بن علي في قيادة الموحيين².

2-مرحلة التأسيس والعظمة والاستقرار :

يذكر ابن خلدون في قصة طويلة أن بيعة عبد المؤمن تمت بعد وفاة المهدي بثلاث سنوات، كان أصحاب المهدي خلالها يزعمون أنه مريض ويمنعون الناس بالدخول عليه وزيارته، وقد تم ترشيح عبد المؤمن بعد أن تشوق إليها الشيوخ الموحيين من أهل العشرة³، فانتظر عبد المؤمن مدة عشرة سنوات بعد وفاة المهدي وذلك قبل أن يشرع بفتح المغرب، وخلال هذه السنوات الطويلة كانت أعمال الموحيين تقتصر على الدعاية وبمناوشات طفيفة⁴، وفي سنة 534هـ خرج عبد المؤمن بجيش من تتمل زاحفا نحو الشمال وانتهت الفتوح في المغرب بمكناس سنة 543هـ ثم فتح المغرب الأوسط سنة (546هـ/1151م) وإفريقية⁵ وعلق ابن الأثير⁶ على نهاية الدولة المرابطية بقوله: "ولقد أساء يوسف بن تاشفين بفعلته بابن عباد واركب بسجنه على الحالة المذكورة أقبح فعلة فلا جرم سلط الله عليه في عقابه من أربى في الأخذ عليه وزاد.

¹- حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ج4، ط1، دار الجيل، (د ب)، 1996م، ص286.

²- ابن الأثير: المصدر السابق، ج5، ص196.

³- مجلس العشرة : وهم عبد المؤمن بن علي و أبو عمر الصنهاجي و أبو حفص عمر الهنتاتي و إسماعيل بن مخلوف وإبراهيم بن إسماعيل الهرغي وإسماعيل بن موسى أبو يحيى بن مكيت ومحمد بن سليمان وأبو عبد الله بن مالتوث وعبد الله بن عبد الواحد. للمزيد ينظر: أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الزركشي: تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تحقيق محمد ماضود، ط2، المكتبة العتيقة، تونس، 2002م، ص6.

⁴- إبراهيم حركات: المغرب عبر التاريخ، ج1، (د ط)، دار الرشاد، الدار البيضاء، (د س)، صص 261-262.

⁵- نفسه، ص162.

⁶- ابن الأثير: المصدر السابق، ج8، صص 300-301.

وبدأ الخليفة عبد المؤمن بترسيخ أركان الدولة وتنظيمها بعد أن أعلن الخلافة الموحدية، وأخذ يتطلع إلى العالم الإسلامي، كما بدأ يعمل على توطيد قواعد التوحيد، والعمل بمصدري التشريع، القرآن والسنة، وملاحقة المعارضين والضرب على أيديهم وعمل على ضم الأندلس وكان له ذلك بين عامي (550هـ-555هـ / 1145م-1150م) واتخذ من مراكش عاصمة له واستتب الأمن واستقر، ولم يمض سوى نحو ربع قرن على فتح مراكش حتى كانت الدولة قد امتدت من طرابلس الغرب شرقا إلى المحيط غربا ومن الصحراء الإفريقية جنوبا إلى جبال الشارات في الأندلس شمالا¹، ونعمت ازدهارا واستقرارا ففاقت ما سبقها من دول في المغرب خلال العصر الوسيط عظمة ونفوذًا، وبوفاة عبد المؤمن عام (558هـ/1163م) انتهت فترة التأسيس ومع خلافة² ابنه يوسف دخلت الدولة في حقبة الازدهار³ التي استمرت أيام المنصور⁴، ومعظم خلافة الناصر⁵.

وخلال فترة الازدهار أشاعت الدولة العدل وضبطت البلاد حتى أن الراكب يسير حيث شاء من بلاد العدو في طرقها من جبلها وسهلها آمنة في نفسه وماله لا يخاف إلا الله أو الذئب⁶ فالتسعت التجارة وتوالت الصناعة وكثر الحرث وعظم العمران، فصار الموحدون في أوج

¹- لمشاهدة خريطة المغرب والأندلس خلال العصر الموحي ينظر: الملحق، رقم 1، ص 84.

²- عز الدين عمر موسى: **تنظيمات الموحدين ونظمهم في المغرب**، (د ط)، (د د ن)، بيروت، 1969، ص 47.

³- أبو مروان عبد الملك بن محمد ابن صاحب الصلاة: **تاريخ المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين**، تحقيق عبد الهادي التازي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1964م، ص 286.

⁴- **يعقوب المنصور**: هو يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن، ولد بمراكش سنة 555هـ، بويغ بعد وفاة أبيه وتابع سياسته، توفي سنة 580هـ. للمزيد ينظر: ابن أبي زرع: **المصدر السابق**، ص ص 205-208.

* **الناصر**: هو أبو عبد الله محمد بن يعقوب المنصور، بويغ يوم وفاة أبيه، وتلقب بالناصر لدين الله، ضعفت الدولة في عهده توفي سنة 610 هـ. للمزيد ينظر: الزركشي: **المصدر السابق**، ص ص 4-5.

⁵- عبد الواحد المراكشي: **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، تحقيق محمد زينهم محمد عزب، (د ط)، دار الفرجاني للنشر والتوزيع، القاهرة، 1994م، ص 256.

⁶- محمد المنوني: **العلوم الآداب والفنون على عهد الموحدين**، ط2، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، 1977م، ص 20.

عظمتهم¹، ويقول عبد الواحد المراكشي عن أيام يوسف بن عبد المؤمن وابنه المنصور: "أنها كانت أعيادا وأعراسا ومواسم، بكثرة خصب وانتشار أمن، ودور وأرزاق، واتساع معاش لم ير أهل المغرب أياما قط مثلها"² ورافق النهضة الاقتصادية وثبة فكرية، فقد ازدهرت المعارف وتنوعت بفضل الطابع الفكري للدولة وتشجيع الخلفاء والسادة من بني عبد المؤمن بما أجزلوا من عطاء لأهل العلم فكثرت العلماء في كل فن، واستوت الشخصية العلمية للمغرب الإسلامي في صورتها التامة³ واستطاع المنصور أن يقضي على أخطر مشكلة وهي ثورة بني غانية⁴ المشهورة والتي كان الهدف منها بعث دولة المرابطين من جديد واستطاع أن يهزم النصاري وينتصر عليهم في معركة الارك⁵ سنة 591هـ/1195م.

3- مرحلة التراجع والسقوط

لم يكتب للمهدي أن يشهد نجاح ثورته والانتصار على المرابطين وخلافتهم على حكم المغرب إلا أن ذلك تمّ على يد خليفته الأول عبد المؤمن بن علي يوم دخل مراكش فاتحا في شوال 541هـ/1145م، واتخذها حاضرة لدولته الجديدة⁶، والسبب في انتصار الموحيدين للفكرة والتنظيم، فالفكرة الدينية القائمة على التوحيد المرتكزة على المهدوية بعثت حماسة فائقة في نفوس الإتياع فاستهانوا بالمشاق لنشرها واستعذبوا الموت لبسط نفوذها، فكانوا رهن الإشارة لآمامهم ثم لخليفته من بعده، والتنظيم الدقيق مكن من صهر القبائل المصمودية التي وحدث في بوتقة واحدة حفظت آنية القبائل واسلست قيادها في آن واحد⁷.

¹ - لرؤية خريطة الدولة الموحدية وهي في أوج عظمتها ينظر: الملحق، رقم 2، ص 85.

² - عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص 256.

³ - بن صاحب الصلاة: المصدر السابق، ص 286.

⁴ - بنو غانية: هم أسرة بربرية تنتمي إلى قبيلة مسوفة المرابطية وهم فرع من صنهاجة، أهم غانية وقد كان المرابطون ينسبون أبناءهم إلى أهم بعبادة عندهم أن الرجل المرابطي يتزوج أكثر من امرأة. للمزيد ينظر: عبد الواحد المراكشي: وثائق المرابطين والموحيدين، تحقيق حسين مؤنس، ط 1، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، 1977م، ص 54.

⁵ - الارك: هو اسم سهل واسع وراء جبال الشارات. للمزيد ينظر: مؤلف مجهول: مغاخر البربر، المصدر السابق، ص 159.

⁶ - مؤلف مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار، تعريب سعد زغلول، ط 2، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1986م، ص 202.

⁷ - عز الدين عمر أحمد موسى: دراسات في تاريخ المغرب الإسلامي، ط 1، دار الشروق، القاهرة، 1983م، ص 76.

واستمرت دولة الموحيدين في عز وازدهار حتى نهاية القرن السادس هجري ومطلع القرن السابع ثم بدأ الهرم يدب في أوصال الدولة ومالت شمسها إلى المغيب وقد حددت المصادر تاريخ تلك الفترة بوفاة يوسف المنتصر عام 620هـ/1223م لأنه يرمز لآخر ضخامة الدولة الموحدية¹ ومن بعده اضطرب الأمر واشرب الناس للخلاف².

ويبدو أن آخر ما يمثل بداية المرحلة ضعفا وانهزاما الفترة الأخيرة من خلافة الناصر بن المنصور ففي عام 603هـ/1206م اتخذ الناصر خطوة تنم عن عجز الدولة في إدارة رقعة ممتدة الأطراف متباعدة المسافات، فلقي يتخلص من المشاكل الإفريقية وثوراتها التي أنهكت قوة الحضرة المادية والبشرية عين واليا على إفريقية بسلطات استثنائية جعلت الوالي مستقلا بأمرها منفردا بسيادتها³ وذلك مما كان له عواقب وخيمة على الدولة.

وفي سنة 609هـ-1212م هزم الناصر في العقاب أمام النصاري، تلك الهزيمة كانت السبب في هلاك الأندلس⁴، وأسباب الهزيمة خير ما يدل على تدهور كبير في الدولة واختلال في نظام الجيش⁵ وتمرد الأشياخ⁶، وختم الناصر حياته بتعيين ابنه يوسف المستنصر خلفا له وعمره ستة عشر عاما، فتغلب عليه أشياخ الموحيدين⁷، ولما آل الحكم إلى إدريس المأمون (624هـ-629هـ/1224م-1229م) استعان بالنصاري لتعزيز شرعية حكمه بهم⁸.

لقد كان إهمال هؤلاء للشورى واعتمادهم على بطانة السوء وميلهم للترف واللهو وانغماسهم في الشهوات وعدم اهتمامهم بشؤون الحكم والرعية وكذا قيام الثورات الداخلية مثل

¹ - مؤلف مجهول: **الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية**، تحقيق: سهيل زكار وعبد القادر زمامه، ط1، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 1979م، ص135.

² - عبد الواحد المراكشي: **المعجب**، المصدر السابق، ص309.

³ - أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد التجاني: **رحلة التجاني**، تقديم حسن حسني عبد الوهاب، (د ط)، الدار العربية للكتاب، ليبيا، 1981م، ص362.

⁴ - ابن أبي زرع: **المصدر السابق**، ص159.

⁵ - عبد الواحد المراكشي: **المعجب**، المصدر السابق، ص321-322.

⁶ - ابن عذاري المراكشي: **المصدر السابق**، ج3، ص241.

⁷ - **نفسه**، ص243.

⁸ - ابن خلدون: **العبر**، المصدر السابق، ج6، ص59.

ثورة بني غانية و ثورات الأعراب والصراع على الحكم كل هذه الأسباب ساهمت في تراجع الدولة وبالتالي سقوطها¹.

ثالثا: منهج بن تومرت في التعليم

1-مبادراته التعليمية

إن الموقع الجغرافي للمغرب باعتباره يوجد في طرف من العالم الإسلامي، وفي بعد شقة عن العواصم الكبرى لهذا العالم، وكذلك الظروف التاريخية التي صحبت دخول الإسلام إلى هذه المنطقة، ونوعية الرجال الدعاة الذين حملوه إليه عقيدة وحضارة، كل ذلك جعل الوضع الفكري به طيلة قرون تمتد إلى هذا العهد الذي نتحدث عنه يختلف في كثير من صفته وخصائصه عن الوضع الفكري في مواضع أخرى من العالم الإسلامي.

ولقد عاش ابن تومرت كل هذه الظروف وكانت تشغله كثيرا وبمعايشته تجربة غنية جدا في المشرق كشفت له عن منهج ومناخ فكري جديد أكثر تحررا وتفتحا عقلي أوسع، وقد عاد إلى المغرب وفي ذهنه تصنيف جديد لعلوم الإسلام، وهو تصنيف سيقرب التصور التقليدي المتبع في الأندلس والمغرب منذ عهد بعيد، وإن اتصاف ابن تومرت بالعلم وشغفه به ودعوته إليه واعتماده إياه أصلا للإيمان وأساسا للحياة الاجتماعية كما بين ذلك في تأليفه وسعى في تحقيقه، وفي ذلك يذكر ابن خلدون أنه: "انطوى هذا الإمام راجعا إلى المغرب بحرا متفجرا من العلم وشهابا واریا في الدين"² وقال فيه أيضا: "حل بطرابلس أولى بلاد المغرب مفتيا بمذهبه الجديد في التوحيد الذي من أهم مبادئه تأويل المتشابه من القرآن الكريم والحديث الشريف مظهرا للتكثير على علماء المغرب في عدولهم عنه، فأخذ بنفسه بتدريس العلم في دائرة توضيح مذهبه الجديد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ما استطاع"³ ويذكر ابن أبي زرع "أنه أوجد عصره في علوم الكلام وعلوم الاعتقاد"⁴، ويعرف ابن تومرت العلم قائلا: "إنه نور في القلب

¹ - عبد الرحمان الجيلالي: المرجع السابق، ج2، ص151.

² - عبد الرحمان ابن خلدون: المقدمة، تحقيق وتعليق عبد السلام الشداوي، ج2، ط1، مطبعة خزانة ابن خلدون، الدار البيضاء، المغرب، 2005م، ص302.

³ - محمد المهدي ابن تومرت: المصدر السابق، ص2.

⁴ - ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص173.

تتميز به الحقائق والخصائص"، ويقول أيضا: "أما معنى العلم وحقيقته فهو وضوح الحقائق في النفس" ويعبر عن قيمة العلم وفضله في مفتتح أعز ما يطلب حيث قال: "أعز ما يطلب، وأفضل ما يكتسب، وأنفس ما يدخر، وأحسن ما يعمل، العلم الذي جعله الله سبب الهداية إلى كل خير"¹.

ولقد أورد بن تومرت عددا من الآيات القرآنية تفيد أن العلم هو الأصل للإيمان والهداية وذلك في كتابه أعز ما يطلب، ومن هذه الآيات قوله تعالى: "فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أولوا الألباب"²، وقوله تعالى: "أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى إنما يتذكر أولوا الألباب"³، وقوله تعالى: "وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم"⁴، فالعلم بالكتاب والإيمان هو الذي كان طريقا إلى الهداية⁵.

وفي عام 510هـ/1104م⁶ شرع بن تومرت في رحلته للعودة إلى الشمال الإفريقي واستغرقت مدة عودته حتى وصل إلى مسقط رأسه أربع سنوات وكان خلالها يتوقف بكل القرى والمدن التي يمر بها وينشط في نشر العلم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ويتحمل المصاعب والمشاق، فتحرك من مكة إلى مصر ومكث في الإسكندرية وأخرج منها وقصد طرابلس بحرا حيث بقي مدة يعلم الناس، ثم انتقل إلى المهديّة بتونس واتخذ مساجدها مقرا يدرس به العلم مركزا على علم الأصول وبعدها اضطّر للخروج إلى المنستير ثم إلى مدينة تونس ثم توجه إلى قسنطينة وتلمسان⁷ وهكذا كلما حل في مدينة إلا وكان همه التدريس وتعليم أهلها من المقبلين عليه، ثم بجاية التي وصلها سنة 511هـ/1105م... إلى أن نزل من بلاد

¹ - محمد ابن تومرت: المصدر السابق، ص 2-14.

² - سورة الزمر الآيتين 17 و18.

³ - سورة الرعد الآية 19.

⁴ - سورة الشورى الآية 52.

⁵ - محمد بن تومرت: المصدر السابق، ص 10-11.

⁶ - ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص 120.

⁷ - ابن خلكان: المصدر السابق، ص 47.

المغرب ببجاية فأظهر بها تدريس العلم والوعظ واجتمع عليه الناس ومالت إليه القلوب فأمره صاحب بجاية بالخروج عنها حين خاف عاديته¹، ولحق بملالة على فرسخ منها بجاية وبها يومئذ بنو ورياكل من قبائل صنهاجة وكان لهم اعتزاز ومنعة فأووه وآجروه وطلبهم السلطان صاحب بجاية بإسلامه إليه فأبوا وأسخطوه وأقام بينهم يدرس العلم أياماً².

ثم توجه إلى فاس ولما دخل المعصوم فاسا نزل بها بمسجد ابن الغنام ثم رحل إلى مسجد بن ملحوم ومنه إلى مسجد يعرف بطريانة لأنه كان في الصومعة بيت وكان المعصوم يعمره ويقرى فيه العلم وكان طلبة فاس يهرعون إليه من كل مكان، ويتصايح بعضهم لبعض يقولون تعالوا بنا للفقهاء السوسيين وهؤلاء كانوا ملازمين للإمام المعصوم يأخذون عنه العلم ويذكرونه فيما عندهم من المحفوظ فكان المعصوم يفهمهم ويفهمهم³، ونزل المهدي بموضع منها يدعى آيغيل وكان يقري الطلبة بجامع وطاس بن يحيى بموضع من ناحية المغرب مما يلي الصحن وكان عبد الحق بن إبراهيم يقري أيضاً وكان يضدد بالمعصوم ويحسده فيما أعطاه الله من العلم والفهم وأقبل إليه فأفحمه المعصوم⁴، ويقول المراكشي: "فخرج هو وأصحابه متوجهاً إلى السوس، فنزل بموضع منها يعرف بتتمل من هذا الموضع قامت دعوته وبه قبره ولما نزله اجتمع إليه وجوه المصامدة فشرع في تدريس العلم والدعاء إلى الخير من غير أن يظهر أمره ولا طلبة ملك وألف عقيدة بلسانهم"⁵.

كما أنشأ بن تومرت رباطاً في هرغة وفي موقع منيع وفي هذا الرباط انهال عليه المصامدة من كل حذب وصوب وتركز نشاطه فيه على قضيتين أساسيتين هما: التربية والتعليم⁶.

¹ - عبد الواحد المراكشي: وثائق المرابطين والموحدين، المصدر السابق، ص 17.

² - أحمد الناصري: المرجع السابق، ج 1، ص 131.

³ - أبو بكر بن علي الصنهاجي البيدي: أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين، (د ط)، دار المنصورة للطباعة والوراقة، الرباط، (د س)، ص 23.

⁴ - نفسه، ص 30.

⁵ - عبد الواحد المراكشي: وثائق المرابطين والموحدين، المصدر السابق، ص 133-134.

⁶ - البيدي: المصدر السابق، ص 94.

لقد قاد بن تومرت حركة فكرية وثقافية تجديدية بالغرب الإسلامي، أثرت ضمن ما أثرت عليه المجال التعليمي، إذ أعادت ترتيب الأولويات في لائحة المواد الدراسية السائدة في العهد المرابطي، وساهمت في إثرائها، وأصبحت بعض المواد تحتل مكان الصدارة بعدما كانت ثانوية أو مهمشة في التعليم في العهد السابق وما قبله، كالحديث والمنطق، وأصول الدين وأصول الفقه والفلسفة¹، وقد حاولت الدولة الموحدية أن تقوم بالوظائف التي كان يقوم بها الرباط وجل المتصوفة ببلاد المصامدة من تعليم لسكان إمبراطوريتها بمختلف شرائحهم الاجتماعية².

وكان التعليم مركزا على تعليم المريدين أركان الإسلام والدعوة لعبادة الله كما في باقي الرابطات، مع اختلاف واحد هو التركيز على أول أركان الإسلام ومبدأ التوحيد المتضمن الشهادتين، إذ كان أول ما دبر بهم أمرهم أنه ألف لهم كتابا سماه التوحيد باللسان البربري وهو سبعة أحزاب على أيام الأسبوع يقرؤونه بعد صلاة الصبح مع حزب من القرآن³، أما طريقة تعليمه للراشدين فمبتكرة وطريقة تتم عن بيداغوجية أصيلة، إذ كان يقوم بنفسه على تعليمهم أو يستعين بأعيان أصحابه، وقسم المتعلمين إلى مجموعات تتكون كل مجموعة من عشرة أشخاص يتكلف نقيب بتعليمهم على الطريقة التي ذكرها الناصري لتحفيظ الفاتحة لمن صعب عليه حفظها لشدة عجمة لسان المصامدة⁴.

2- أسلوبه في التعليم

استطاع ابن تومرت بما أوتي من ذكاء وحيلة أن ينشر أفكاره وآراءه وأن يجمع حوله الكثير من سكان المغرب في فترة وجيزة وعمل جاهدا على تعليمهم وإخراجهم من بوتقة الجهل الذي يعيشونه وقد استعمل في ذلك أساليباً متمثلة في الخطوات التالية :

أ- البرنامج الديني الذي وضعه لأتباعه: حيث استخدم لغة البربر بجانب اللغة العربية وذلك لاستمالة أكبر عدد ممكن من سكان البلاد⁵، ثم ألف لهم عقيدة تسمى المرشدة وجعل فيها

¹ - الحسين اسكان: تاريخ التعليم بالمغرب خلال العصر الوسيط، (د ط)، منشورات المعهد الملكي، الرباط، 2004م، ص 104.

² - نفسه، ص 159.

³ - أحمد الناصري: المرجع السابق، ص 83.

⁴ - الحسين إسكان: المرجع السابق، ص 156.

⁵ - ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص 115.

الأعشار والأحزاب والصور وأمرهم بحفظها ومن لم يحفظها عد كافرا لا تجوز إمامته ولا تأكل ذبيحته¹.

ب- استغلال الصغار من قومه ومن ليس لهم علم: وبذلك يسهل التأثير فيهم والسيطرة عليهم وادعائه ببعض الكرامات وإقناعهم بها وغير ذلك من الحيل التي زادت من مكانته في قلوب إتباعه²، يقول في ذلك ابن خلكان: "وكان ابن تومرت يستميل الأحداث وذوي الغرة، وكان ذوي الحكم والعقل والحلم من أهاليهم ينهونهم ويحذرونهم من إتباعه ويخوفونهم من سطوة الملك"³.

ج- الادعاء بالانتساب إلى بيت النبوة: وأشار إلى هذا البيدق بقوله: "ينقل من يوثق من قرابته وغيرهم محمد بن عبد الله بن وكليد بن يامصل بن حمزة بن عيسى بن عبد الله ابن إدريس بن عبد الله بن الحسن بن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم"⁴ غير أن بعض المؤرخين يشككون في هذه النسبة بما دفع بابن خلدون لدفاع عن نسبته لبيت النبوة في مقدمته⁵. وسواء أكانت هذه النسبة صحيحة أم غير صحيحة فإنه استغلها أحسن استغلال في ادعائه أنه المهدي المنتظر وذكر لهم صفاته والأحاديث الدالة عليه⁶.

د- استخدامه لسلح الجدل والمناظرة ببراعة ودهاء: لم يكن الجدل والمناظرة رائجين بالمغرب قبل دعوة المهدي، وذلك لأن هذين اللونين من النشاط الفكري يتولدان من تباين المذاهب وهو ما لم يكن متوفرا إلا بالأندلس، فقام هناك لون من الجدل كان ابن حزم الظاهري محوره الأساسي فيما واجه به اليهود والنصارى مما يتعلق بالعقيدة وما واجه به المالكية مما يتعلق بالفقه، فلما جاء ابن تومرت إلى المغرب وكان قد حذق بالمشرق أساليب الجدل والمناظرة، وافتتح عهدا جديدا فيهما بالمغرب، بما قد مارسه عمليا على نحو ما رأيناه في مناظرته الشهيرة للفقهاء باغمات⁷، وقد تعلم ابن تومرت أساليب الجدل وآدابه من أساتذته على غرار الغزالي

¹- أحمد الناصري: المرجع السابق، ج3، ص92.

²- نفسه، ص92.

³- ابن خلكان: المصدر السابق، ج4، ص181.

⁴- البيدق: المصدر السابق، ص21.

⁵- عبد الرحمان بن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ج1، صص26-27.

⁶- ابن عذاري المراكشي: المصدر السابق، ج1، ص187.

⁷- عبد المجيد النجار: المرجع السابق، ص473.

الذي كان معروفا بقوة عارضته في الجدل والمناظرة، حيث تصدى للفلاسفة ونقض مقولاتهم، كما كان أستاذه الهراسي أيضا أحد رؤوس الأئمة في الجدل والمناظرة¹. ولقد صور البيدق بقوله: "ثم خرج منها لمسجد عرفة فمكث فيها أياما عديدة وذلك أن علي بن يوسف بعث إلى العلماء حتى وصلوا من كل جانب ومكان فذاكرهم المعصوم وأفحمهم"². وكان ذلك ديدنه في المدن التي مر بها حيث حرس على فضح العلماء وتبيان مدى جهلهم وقلة بضاعتهم في العلوم الدينية، ولعلم الأصول وذلك بمناظرتهم.

رابعا: جهود عبد المؤمن و خلفائه التعليمية

1- جهود عبد المؤمن

بدأ عبد المؤمن حياته طالبا للعلم، وظل محبا للعلم بعد توليه الخلافة، وكان فصيحاً نبيها عالما بالجدل، فقيها في علم الأصول، مشاركاً في كثير من العلوم، إماماً في النحو، والقراءات واللغة والأدب، ذاكرة للتواريخ وأيام الناس، راعيا للعلم والعلماء في دولته حريصاً على نشر العلوم المتنوعة بين طلبة العلم، ولاسيما النشأ الجديد³.

أظهر عبد المؤمن اهتماما بالعلماء والمعلمين بإكرامهم المادي والمعنوي فأجزل للمعلمين الأعطيات والجوائز والصلوات وكان يستدعي العلماء من جميع الجهات لحضور المجالس العلمية، كما أولى عبد المؤمن بن علي أماكن التعليم اهتماما كبيرا وقدم دعمه ورعايته لها مما أدى إلى ازدهار المؤسسات التعليمية كالكليات والمساجد والمدارس، فكان له دور كبير في إنشاء المساجد والمدارس ببلاد المغرب والتي سنتحدث عنها بالتفصيل في الفصل الثاني⁴.

ولعل أهم ما قام به عبد المؤمن بن علي في المنهج التعليمي في عصره هو التعليم الإلزامي وهو نوع آخر من مناهج التعليم لدى الموحيدين وهو الذي وضعه عبد المؤمن للتعليم

¹ - بن خلكان: المصدر السابق، ج4، ص ص216-217.

² - البيدق: المصدر السابق، ص68.

³ - فانتن كوكة: التصنيف اللغوي والأدبي في عصري المرابطيين والموحيدين (484-670هـ)، (د ط)، منشورات الهيئة العامة

السورية للكتاب، دمشق، 2012م، ص89.

⁴ - نفسه، ص101.

الإجباري ويقوم هذا المنهاج على أنه يجب على كل من انضوى تحت راية الموحيدين أن يتعلم الضروري من العقائد وما يتعلق بالصلاة. فجعله حتما لازما على كل مكلف ورخص لمن يفهم باللسان البربري دون العربي أن يقرأ بلسانهم عقيدة ابن تومرت-التوحيد- أما الذين يفهمون العربية فكان لزاما أن يقرأوا عقيدة ابن تومرت العربية-المرشدة- وأكد على الجميع في حفظ ذلك وتدبره وملازمة قراءته وتعااهده كما أكد على العوام ومن في الديار في حفظ القرآن وما تيسر من القرآن وألزم نوابه أن يقدموا علماء أمناء من قبلهم ليعلموا الناس ما ذكر¹.

كان عبد المؤمن يشرف بنفسه على مباشرة هذا النوع من التعليم الإجباري بمراكش وناحيتها ويكتب إلى نواحي المملكة الأخرى بقص عليها عمله هذا ويأمرها أن تحتذي حذوه وتقوم بدورها بتطبيق هذا المنهاج².

قسم عبد المؤمن الطلبة طائفتين طلبة الموحيدين وطلبة الحضر هذا بعد أن تسمى المصامدة بالموحيدين لتسمية ابن تومرت لهم بذلك لأجل خوضهم في علم الاعتقاد الذي لم يكن أحد من أهل ذلك الزمان في تلك الجهة يخوض في شيء منه كما أنه كان يلحق بكتابي المهدي المقررين في التعليم الإجباري "مجموع أحاديث الجهاد" وكذلك "مجموع أحاديث الصلاة"³.

2: جهود خلفاء عبد المؤمن في التعليم

حرص خلفاء عبد المؤمن على تشجيع التعليم ماديا ومعنويا بل كانوا هم بأنفسهم من أرباب العلم والفن وعشاقه حتى في مرحلة ضعف الدولة⁴، ولقد حرص كل خليفة منهم على أن يكون على قدر كبير من الثقافة الدينية التي تسمح له بمجالسة الفقهاء وكان الكثير من خلفاء عبد المؤمن وأمرائهم فقهاء وعلماء وأدباء⁵، فنجد منهم الشاعر والأديب والعالم، ونجد على رأس

¹ -مجموع رسائل موحديّة: من إنشاء كتاب الدولة المؤمّنية، اعتنى بإصداره ليفي بروفانسال، (د ط)، المطبعة الاقتصادية، الرباط ، 1941م، ص131-133.

² - نفسه، ص52-54.

³ - عبد الواحد المراكشي: وثائق المرابطين والموحيدين، المصدر السابق، ص269.

⁴ - صفية ديب: التربية والتعليم في المغرب والأندلس في عصر الموحيدين، (د ط)، كنوز الحكمة، الجزائر، 2011م، ص268.

⁵ - محمد المنوني: المرجع السابق، ص14.

هؤلاء الخليفة أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن الذي ينتمي إلى طائفة العلماء و الأدباء فقد نال قدرا من العلم واللغة والنحو والقرآن على يد من لقيهم باشبيلية أيام ولايته عليها من قبل أبيه¹، يقول عنه صاحب المعجب: "كان أحسن الناس ألفاظا بالقرآن² وكان أيضا شديد التعطش للعلم وقيل أنه يحفظ أحد الصحيحين، كما أنه تبحر في علوم النحو وعالما بالفلسفة وطموحا لعلم الطب فهو يعتبر من طائفة الأطباء"³.

ونجد أيضا الخليفة أبو يوسف يعقوب المنصور يعتبر من رواد الحديث والفقه واللغة، يقول عنه صاحب الأنيس أنه كان عالما بالحديث والفقه واللغة، مشاركاً في كثير من العلوم النافعة للدين والدنيا⁴، وعلى الشاكلة نفسها أبو العلاء إدريس بن يعقوب المنصور الملقب بالمأمون من أهل العلم والأدب والفقه يقول عنه صاحب الحل: "إنه عالما كاتباً أدبياً فصيحاً بليغاً"⁵.

كما كان الخليفة أبو حفص بن السيد أبي إبراهيم إسحاق بن أمير المؤمنين أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن الملقب بالمرتضى كان له حظ وافر من العلم والأدب وبراعة الخط.

ولعل نبوغ خلفاء الموحيين في مختلف أنواع العلوم والآداب والفنون له الأثر الكبير وراء ذلك الازدهار والنهضة العلمية الكبيرة التي بلغت دولتهم خاصة في عهد المنصور الذي يعد العصر الذهبي للدولة، وكانت بقاع دولتهم قبلة الفقهاء والعلماء والأدباء الذين أسهموا بقدر كبير في تطور التعليم وارتقائه على عهدهم، ومن مظاهر تشجيع خلفاء الموحيين للتعليم متمثلاً في:

أ- اشتغالهم بالتعليم

سار حكام الموحيين على نهج طلب العلم وتقدير العلم والعلماء وعملوا على تعليم وتنقيف المجتمع الموحي، فكان الازدهار الفكري والعلمي الذي شهده المغرب والأندلس في

¹ - عبد الواحد المراكشي: المعجب، المصدر السابق، ص 113.

² - نفسه، ص 113.

³ - محمد المنوني: المرجع السابق، ص 91.

⁴ - ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص 216.

⁵ - مؤلف مجهول: الحل الموشية، المصدر السابق، ص 163.

عصرهم ثمرة جهودهم، ولهذا كان خلفاء الموحدين شغوفين بالتعلم ومكترئين بأمور تربية الأبناء وتعليمهم منذ طراوتهم¹، ونجد على رأس خلفاء عبد المؤمن المهتمين بتعليم الموحدين وتنقيفهم خليفته أبو يعقوب يوسف الذي تولى بنفسه تدريس أحاديث الجهاد للناس وهذه الأحاديث كان قد كلف العلماء بجمعها في مصنف واحد ليتولى هو مهمة تدريسها بعد أن كملت عملية الجمع هذه، واستعمل في تدريسه لهذه الأحاديث طريقة الإملاء والمتعلمين يدونون على اللوح ما يمليه عليهم كما كان له دور كبير في ارتقاء الفلسفة وازدهارها على عهده، فكانت مجالسه عامرة بالفلاسفة، وكان هو الذي أمر الوليد بن رشد بتلخيص كتب أرسطو وطاليس فتيسر فهمهما لدى الناس².

ومن خلفاء الموحدين أيضا الذين اشتغلوا بالتعليم بأنفسهم على طريقة الإملاء نجد الخليفة يعقوب المنصور الذي تعتبر فترة حكمه من أهم فترات ازدهار الحياة العلمية إذ طبع عصره بطابع التجديد المنهجي في مختلف العلوم³، ولقد كلف العلماء المحدثين بجمع مجموعة من المصنفات كالموطأ، وسنن أبي داود، وسنن النسائي، سنن الدار قطني، سنن البيهقي، والصحيحين، وأحاديث بن تومرت في الطهارة، ولما اكتمل له هذا تولى مهمة تدريسه بنفسه فأخذ يمليه على الناس بنفسه ويأخذهم بحفظه⁴.

ب- الاهتمام بالعلماء وتبجيلهم

حضي العلماء وطلبة العلم في عصر الموحدين بمكانة مرموقة وإيثارهم وتقريبهم وهذا لما عرف عن خلفاء الموحدين بحبهم لأهل العلم والعلماء ومن بين هؤلاء العلماء علي بن هشام بن إبراهيم بن علي الذي مكث بمراكش و اشتغل بالتدريس، و احمد بن عبد الصمد بن أبي عبيدة القرطبي الذي اشتغل بتدريس علم الحديث في جامع القرويين بفاس⁵، إضافة إلى أبو

¹ - صفية ديب: المرجع السابق، ص 265.

² - عبد الواحد المراكشي: المعجب، المصدر السابق، ص 116-117.

³ - صفية ديب: المرجع السابق، ص 67.

⁴ - عبد الواحد المراكشي: وثائق المرابطين والموحدين، المصدر السابق، ص 135.

⁵ - صفية ديب: المرجع السابق، ص 101.

القاسم محمد بن أحمد المعروف بابن الذراس الذي اشتغل بتدريس الطب والعربية في بجاية¹، وأبو الحسن علي الذي استوطن بجاية وأفاد الناس بعلمه²، ونظرا للعناية التي كان يحظى بها المدرسون بالمغرب نجد العلماء أثناء رحلتهم إلى الحج وعبرهم لبلاد المغرب يقطنون بها ويمارسون بها مهمة التدريس وأملوا مؤلفاتهم على الطلبة³. وبالحديث عن اعتناء الموحيين بالعلماء نجد الخليفة يوسف بن عبد المؤمن مولعا باستجلاب العلماء والفقهاء والأدباء فلم يزل الخليفة يجمع إليه العلماء من كل فن ومن جميع الأقطار⁴، وقد حفظ لنا التاريخ مجموعة من الرسائل التي كان يبعثها خلفاء الموحيين وكانت موجهة للطلبة منها الرسالة التي بعثها الأمير يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن لطلبة غرناطة يدعوهم فيها إلى الاشتراك في بيعته والتي يعود تاريخها إلى جمادي الأول 580هـ، والرسالة التي بعثها إلى طلبة اشبيلية⁵.

كما كان الخليفة يوسف بن عبد المؤمن محبا للعلماء ومعظما لهم وكان يحضر جنائز الفقهاء والصلحاء ويتبرك بهم⁶، وكان ينفق عليهم من بيت المال وفي عهده أجرى المرتبات على الفقهاء والطلبة على قدر مرتباتهم وطبقاتهم⁷، والذي يشد الانتباه إليه أنه خلال العهد الموحي إن ظاهرة تقريب العلماء وتشجيعهم وإيثارهم صفة مشتركة لدى جميع الخلفاء وأدى تشجيعهم هذا دورا عظيما في جلب علماء الأندلس إلى بلاطهم وتهيئة الأسباب لاستقرارهم بمراكش وهذا ما حفزهم على أداء دورهم التعليمي⁸، إن المكانة التي حظي بها العلم والعلماء مع تشجيع الخلفاء لهم وذلك الإقبال الواسع لعلماء الأندلس على إفريقية والمغرب كان له دور كبير

¹ - أبو القاسم محمد: هو الشيخ الفقيه أبو القاسم محمد بن أحمد الأموي المعروف بابن أندراس، استوطن بجاية، تبسط للطب طبيا باحثا جيدا، له معرفة بعلم العربية، انتظم في سلك أطباء المستنصر توفي سنة 674هـ. للمزيد ينظر: أبو العباس أحمد الغبريني: عنوان الدراية في من عرف من العلماء في المئة السابعة ببجاية، تحقيق عادل نويهض، ط2، دار الافاق الجديدة، بيروت، 1979م، ص103.

² - نفسه، ص178.

³ - صفية ديب: المرجع السابق، ص101.

⁴ - عبد الواحد المراكشي: وثائق المرابطين والموحيين، المصدر السابق، ص114-117.

⁵ - مجموع رسائل موحية: المصدر السابق، ص155.

⁶ - نفسه، ص164.

⁷ - ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص216.

⁸ - نفسه، ص217.

في إذكاء رغبة التعلم لدى أبناء المغاربة مما حملهم على الاستزادة والأخذ من مختلف العلوم وخاصة أن مناصب الدولة ووظائفها كانت قاصرة على المتعلمين والمتقنين¹.

ج-اهتمامهم بتشييد المؤسسات التعليمية

مما أعطى دفعا للحركة التعليمية في المغرب على أيام الموحيدين وهو ذلك الانتشار الكبير للمؤسسات التعليمية المنتشرة في شتى أنحاء المغرب وعلى رأسها المساجد والكتاتيب والمدارس والزوايا والربط والتي كان لها الأثر الواسع في تطور التعليم عبر مختلف أطواره، لاسيما أيام المنصور وولده محمد الناصر، كانت المساجد فيها سبع مئة و خمسة وثمانين²، وعرفت المساجد والمدارس انتشارا واسعا في مختلف أرجاء الدولة خاصة على عهد المنصور الذي بنى الكثير منها في بلاد افريقية والأندلس³.

كما أنشأ المنصور كذلك مدرسة خارج مراكش بخزائن الكتب⁴، إضافة إلى مدرسة المسجد الأعظم بطالعة سيلة⁵، وقام المنصور ببناء منار جامع الكتبين، ومن المساجد التي شيدها الخليفة يعقوب المنصور الجامع الكبير في اشبيلية ومناره العظيم⁶، ونجد ابن صاحب الصلاة يرجع بناء جامع اشبيلية إلى عهد يوسف بن عبد المؤمن وإن ولده المنصور أتمّ بناؤه فقط⁷.

¹ - صفية ديب: المرجع السابق، ص130.

² - حسن علي حسن: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس عصر المرابطين والموحيدين، (د ط)، مكتبة الخانجي، مصر، 1970م، ص476.

³ - علي الجزنائي: جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس، تحقيق عبد الوهاب بن المنصور، ط2، المطبعة الملكية، الرباط، 1991م، ص ص43-44.

⁴ - ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص217.

⁵ - محمد المنوني: المرجع السابق، ص18.

⁶ - ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص229.

⁷ - نفسه، ص229.

* - البيمارستانات: كلمة فارسية مركبة من كلمتين، بيما وبمعنى مريض أو عليل، وستان بمعنى مكان أو دارالمرضى. للمزيد ينظر: أحمد عيسى: تاريخ البمارستانات، ط2، دار التراث العربي، بيروت، 1981م، ص4.

وقد كان الخليفة المنصور مولعا بالتشييد والبناء للمساجد والمدارس، كما عرف العهد ظاهرة جديدة وهي تشييد البيمرستانات¹، وتعتبر هذه الأخيرة من أكثر المراكز التعليمية تشييدا بعصر الموحدين خاصة على عهد الخليفة المنصور² باعتبارها معاهد علمية ومدارس يتم فيها تعليم الطب بمختلف فروعها، وتخرج منها الأطباء والجراحون وكان اهتمام يعقوب المنصور ببناء هذه المستشفيات كونه ملما بهذا العلم وكونه شهيرا من أطباء العصر الموحدي³، وكان يتفقد أحوال المرضى بنفسه في كل يوم جمعة بعد الصلاة⁴، ومن فرط اهتمام خلفاء الموحدين ببناء المدارس والإشراف عليها هو الإتيان بفطاحل العلماء المدرسين لتنظيم هذه المدارس، كما فسحوا مجالا واسعا لتعليم مختلف العلوم كالحساب والفلسفة والأدب والحديث وكان الخلفاء يستدعون المقرئين للتعليم في المغرب ومن بينهم علي بن محمد بن يوسف الياكري الضرير وكلّف بتدريس علوم القرآن⁵، وقد جعل خلفاء الموحدين بلدهم قبلة لمختلف المدرسين المتمتعين بشهرة عالية في هذا الميدان، وفتحت أبواب المؤسسات التعليمية من مساجد ومدارس وزوايا التي انتشرت في مختلف أرجاء دولتهم في فاس وبجاية وخاصة العاصمة مراكش⁶.

¹ - صفية ديب: المرجع السابق، ص 266.

² - ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص 217.

³ - الناصري: المرجع السابق، ص 140.

⁴ - عبد الواحد المراكشي: وثائق المرابطين والموحدين، المصدر السابق، ص 140.

⁵ - محمد المنوني: المرجع السابق، ص 28.

⁶ - صفية ديب: المرجع السابق، ص 101.

الفصل الثاني

مؤسسات وأساليب التعليم ببلاد المغرب في العهد الموحي

أولا - المؤسسات التعليمية

ثانيا - مراحل التعليم ومناهجه

ثالثا - طرق التعليم

أولاً - المؤسسات التعليمية:

أولى الموحدون عناية بالغة بالتعليم من أجل النهوض بالحركة الفكرية والثقافية على أوسع نطاق، فأنشأوا المؤسسات التعليمية في مختلف ربوع البلاد، كالكتاتيب والمدارس والمساجد والأربطة والزوايا.

01- الكتاتيب:

الكتاتيب جمع كُتَّاب أنشئت ليتعلم فيها القراءة والكتابة وقراءة القرآن وأُشتق اسمها من علم الكتابة ويُطلق عليه في بعض حواضر المغرب بالمسيد وهو تحريف لكلمة مسجد¹، فالكتاتيب هي أماكن المرحلة الأولى التي كان يتعلم فيها صبية المسلمين مبادئ القرآن الكريم والكتابة ويأخذون بعد ذلك في حفظ القرآن الكريم، ثم يتعلمون بين جدرانها أولويات علوم الدين واللغة التي تهيئهم لتلقي العلوم بالمساجد وهي من المؤسسات التعليمية الهامة بالمغرب الإسلامي². فقد أظهرت المصادر مدى حرص الموحدين على العناية بالصبيان وتحفيزهم على التعلم في المراحل الأولى من حياتهم في بلاد المغرب والأندلس³.

كانت الكتاتيب معروفة قبل الموحدين بالمشرق والأندلس وهذا ما أكدته الرحالة المغربي ابن بطوطة قائلاً: «وبهذا المسجد (جامع دمشق الأموي) جماعة من المعلمين لكتاب الله يستند كل واحد منهم إلى سارية من سوارى المسجد يلقي الصبيان ويقرئهم وهم لا يكتبون القرآن في الألواح تنزيهاً لكتاب الله تعالى وإنما يقرأون القرآن تلقيناً ومعلم الخط في غير معلم القرآن

¹ - عبد العزيز بن عبد الله: معلمة القرآن والحديث بالمغرب الأقصى، (د ط)، إدارة الثقافة والنشر بالجامعة، السعودية، 1985م، ص13.

² - عبد الله على علام: الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن علي، ط1، دار المعارف مصر، 1971م، ص291.

³ - ابن القطان المراكشي: نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تحقيق محمود علي مكي، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990م، ص178.

يعلمهم بكتب الأشعار وسواها فينصرف الصبي من التعليم إلى التكتيب وبذلك جاد خطه لأن المعلم للخط لا يعلم غيره»¹.

لقد اعتنى الموحدون بالكتاتيب وقاموا بتعميمها في جميع أنحاء البلاد كما أعلوا من شأن المعلمين فيها وقد حفظت لنا كتب التراجم والسير على ترجمات لعديد من المعلمين الذين كان لهم دور بارز في تعليم الصبيان بالكتاتيب حيث نذكر منهم:

أبو عبد الله التاودي² المعلم لكتاب الله والمتوفي عام 580هـ/1184م كان يقوم بتعليم الصبيان القرآن الكريم في المكتب³. كذلك قام بالتدريس في هذه الكتاتيب الفقيه موسى المعلم⁴ المتوفي سنة 599هـ/1203م، كان يعلم الصبيان في معهد قنطرة أبي رؤوس بفاس، وإبراهيم العشاب الأنصاري⁵ المتوفي عام 583هـ/1187م، كما برز الفقيه أبو محمد القضاعي⁶ المتوفي عام 615هـ/1218م⁷.

1- ابن بطوطة : تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تحقيق علي المنتصر الكتاني ج5، ط4، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1984م، ص 108

2- التاودي: هو أبو عبد الله سيدي محمد بين علي الفاسي الشهير بالتاودي نسبة إلى داودة قرية بالمغرب ويدعى أبي عبد الله الخياط وبالمعلم الخياط وبشمس البلد كان يعلم الصبيان بالمكتب ويؤم الناس بالمسجد، كان من الأفراد العارفين والصلحاء والأولياء الواصلين والعلماء الناسكين العاملين متقللا من الدنيا زاهدا فيها تاركا للنعم بلذاتها متقشفا توفي سنة 580هـ. للمزيد ينظر: أبو عبد الله محمد الكتاني: سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس، تحقيق عبد الله الكامل الكتاني وآخرون، ج3، (د ط)، دار الثقافة، الدار البيضاء، ص 136-138.

3- ابن الزيات التادلي: التشوف إلى رجال التصوف، (د ط)، مطبوعات معهد الأبحاث العليا، الرباط، 1958م، ص 263-264.

4- هو الفقيه الخطيب الصالح الورع مهدي بن موسى المعلم كان من أحسن الناس خلقا وخلقا وأفصحهم لسانا وأكثرهم بيانا وكانت موعظته تؤثر في القلوب لصدقه وإخلاصه كان يقرئ الصبيان وكان خطيبا بجامع القرويين. للمزيد ينظر: ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص 71.

5- هو إبراهيم بن إبراهيم بن محمد الأنصاري المقرئ من أهل أشونة ونزل مدينة فاس يعرف بابن العشاب أخذ القراءات عن أبي القاسم بن رضي كان أديبا ونحويا توفي 583هـ. للمزيد ينظر: أبو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي المعروف بابن الآبار: التكملة لكتاب الصلة، تحقيق بشار عواد معروف، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، تونس، 2011م، ص 275.

6- يسمى بعبد الله في بعض النسخ ويكنى بأبي محمد كان يعلم في الكتاب ثم أصبح يؤم ويخطب حينها ترك الفقيه المكتب واعتكف بالمسجد وتوفي سنة 615هـ للمزيد ينظر: ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص 74.

7- جمال أحمد طه: مدينة فاس في عصري المرابطين والموحدين من 448هـ/1056م إلى 668هـ/1269م، (د ط)، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ص 275.

عمل عبد المؤمن على نشر مبادئ الموحدين، فعمّم التعليم بالكتاتيب والرباطات التي كانت تعتبر من المعاهد العلمية والحربية الهامة بالمغرب¹ فكان أول من فرض على شعبه إجبارية ومجانية التعليم في المغرب الإسلامي، بل ربما كان أول حاكم فعل هذا في العصور الوسطى²، حيث أمر عبد المؤمن بن علي أتباعه في إحدى رسائله الموجهة إلى مختلف الولايات بضرورة تعليم القرآن وتحفيظه للناس عن طريق أمهر المعلمين والقراء³.

02- المساجد:

يعدّ المسجد من أهم المنشآت العمرانية التي عمد المسلمون على بنائها عند بناء المدن الإسلامية فهو فضلا عن كونه مركز العبادة فإنه مكان لمناقشة أمور حياتهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وقد قام المسجد بدوره في التعليم منذ صدر الإسلام وظل يحتفظ بهذا الدور قرونا متوالية⁴.

فالمساجد هي المؤسسات العلمية الأولى عند العرب في عهد الرسول - صلى الله عليه وسلم - وخلفائه الراشدين، حيث كانوا يتلقون فيها آيات الكتاب المبين وعلم الفرائض والدين⁵، حيث كان مركزا تدور حوله الحياة الدينية والعقلية والسياسية في المدينة⁶ من خلال حلقات العلم التي كانت تعقد فيها وهذا ينطبق على المسجد بالمغرب الإسلامي إذ لم يكن مقرا للعبادة فقط أو إرسال الجيوش أو مقرا للقضاء بل كان نقطة انطلاق لنشر الإسلام ومهدا للحركة العلمية في المغرب الإسلامي فقد كانت مساجده قبلة للوافدين من طلاب العلم من سائر البلاد العربية⁷.

1- حسن إبراهيم حسن: المرجع السابق، ص 437 .

2- عبد الله على علام: المرجع السابق، ص 291.

3- مجموع رسائل موحدية: المصدر السابق، ص 133.

4- زهير محمود عبد جاسم البياتي: الحياة العلمية في المغرب العربي من خلال كتاب تاريخ مدينة دمشق لابن عساکر، رسالة ماجستير، جامعة ديالي، 2015/2016م، ص 231.

5- محمد أسعد أطلس: التربية والتعليم في الإسلام، (د ط)، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، 2012م، ص 45.

6- ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص 195.

7- زهير محمود عبد جاسم البياتي: المرجع السابق، ص 231.

كان الموحدون في صدر حكم عبد المؤمن بن علي يتخرجون من الغلو في الزخرفة، وكان فن البناء يتسم بالمتانة والخلو من التعقيد الزخرفي سيرا على منهج ابن تومرت في التقشف والزهد، ومنذ خلافة عبد المؤمن بن علي بنى مسجد تازة¹ نسبة إلى مدينة تازة² التي تعتبر أهم مركز حربي للموحدين حيث اتخذها عبد المؤمن سنة 527هـ/1132م قاعدة للحملات³، حيث بنى المسجد سنة 529هـ/1134م⁴، يشتمل هذا المسجد على تسع بلاطات عمودية على جدار القبلة⁵، ويشبه في تخطيطه لمسجد الجامع بتينمل كل الشبه⁶.

كما بني جامع الكتبيين بمراكش سنة 553هـ/1158م وهو ثاني مسجد يقوم بإنشائه عبد المؤمن بعد مسجد تازة⁷، جعل فيه سباطا يتردد عن طريقه بين القصر والجامع ونقل إليه منبرا عظيما كان قد أمر بصنعه في الأندلس، حيث كانت صفائحه من الذهب والفضة، أقام للمسجد مقصورة من الخشب تسع أكثر من ألف رجل⁸ وصفه المقرئ بقوله: "أمرؤا ببناء المسجد الجامع بحضرة مراكش فبدئ ببنائه وتأسيس قبلته في العشر الأولى من شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة" ويقول: "وصليت فيه صلاة الجمعة منتصف شعبان المذكور"⁹.

1- عبد العزيز بن عبد الله: تاريخ المغرب العصور القديمة والعصر الوسيط، (د ط)، مكتبة السلام ومكتبة المعارف، المغرب، (د س)، ص 125.

2- تازة من بلاد المغرب أول بلاد تازة حد ما بين المغرب الأوسط وبلاد المغرب في الطول وفي العرض وهي تقع شرق فاس. تعتبر مركز هام، نظرا لموقعها الجغرافي، شرق المغرب، كانت وهي أهم نقطة تحول من حكم لآخر ومن دولة لأخرى، لعبت أدوارا مهمة في تاريخ المغرب. للمزيد ينظر: محمد بن عبد المنعم الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، ط2، مكتبة لبنان، لبنان، 1984م، ص 128.

3- الناصري: المرجع السابق، ج2، ص 109.

4- محمد كمال شبانة: الدويلات الإسلامية في المغرب، ط1، دار العالم العربي، القاهرة، 2008م، ص 70.

5- عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب في العصر الوسيط، (د ط)، مؤسسة شباب الجامعة، (د ب)، (د س)، ص 753.

6- محمد كمال شبانة: المرجع السابق، ص 70.

7- نفسه، ص 71.

8- عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ص 758.

9- أحمد بن محمد المقرئ: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، ج2، دار صادر، بيروت، (د س)، ص 145.

وتعتبر منارة جامع الكتبية من أجمل آثار الموحدين¹، ومنبره أجمل منبر في المغرب بل أروع منبر في العالم الإسلامي².

ومن الجوامع أيضا جامع تينمل³، كما نعرف أن لتينمل مكانة خاصة عند الموحدين، حيث اختارها ابن تومرت مركز الدعوة وهي تضم رفاة خلفاء الموحدين المهدي وعبد المؤمن وأبي يعقوب وابن يوسف يعقوب المنصور، حيث بنى عبد المؤمن هذا الجامع سنة 543هـ⁴، فجعله آية من آيات الفن المعماري، فبنى قبة فوق قبر المهدي جعل منها تحفة فنية خالدة وتقنن في زخرفتها وجعلها مزارا، ولما مات دفن فيه مع أستاذه المهدي⁵.

ومن الجوامع أيضا جامع القرويين في فاس الذي قام بدوره كمعهد للتعليم الذي وضع حجر أساسه عام 245هـ/850م ليكون دار فقه وعلم⁶، وتعادل جامعات الأندلس باجتماع العلماء في رحابها، ولذلك اهتم الموحدون بترميم جوانبها وإقامة ما يوشك على الانهيار بعد الحريق الذي مسّ جانبها من جوانبها⁷. ومن الجوامع أيضا جامع حسان⁸ بالرباط بناه يعقوب بن يوسف بمدينة الرباط له مئذنة شامخة على هيئة مئذنة الإسكندرية وتسمى الآن منارة حسان فرغ من بنائه سنة 593هـ/1198م⁹، وتعد منارته من أروع كبريات المنارات الموحدية وقد بنيت بعد منارة الكتبية بمراكش ومنارة الخالدة بإشبيلية¹⁰.

1- محمد كمال شبانة: المرجع السابق، ص71.

2- حسن إبراهيم حسن: المرجع السابق، ص584.

3- لرؤية صور لمسجد تينمل بنظر: الملحق، رقم3، ص86.

4- محمد كمال شبانة: المرجع السابق، ص73.

5- نجيب زبيب: الموسوعة العامة لتاريخ المغرب والأندلس، تقديم أحمد بن سودة، (د ط)، دار الأمير للثقافة والعلوم، بيروت، 1995م، ص340.

6- رشيدة برادة: الدور التربوي والتعليمي لمؤسسات التعليم العتيق، مجلة الجامعة المغربية، العدد1، السنة الثانية 2007م، ص107.

7- صالح فركوس: المختصر في تاريخ الجزائر من عهد الفينيقيين إلى خروج الفرنسيين (814 ق م - 1962 م)، (د ط)، دار العلوم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002م، ص69.

8- لرؤية صورة لمسجد حسان بنظر: الملحق، رقم4، ص87.

9- حسن إبراهيم حسن: المرجع السابق، ص585.

10- محمد كمال شبانة: المرجع السابق، ص74.

وهناك مساجد أخرى كجامع سبتة وجامع مكناس¹ وكذلك مسجد سلا الأعظم الذي تشهد المدرسة التابعة له بأنه كان يضاوي جامع القرويين في الضخامة²، كما بني عبد المؤمن الجامع الكبير بندرومة وفاء لقبيلته كومية وبقية بطون زناتة الكبرى. ومن المساجد أيضا التي نالت شهرة في هذا العصر مسجد حومة اللؤلؤة المعروف بالمسجد المرجاني الذي كان يجتمع فيه الصلحاء والأفاضل والمتعبدون وسمي بالمرجاني نسبة إلى الفقيه أبو زكرياء المرجاني الموصلي الذي زار بجاية وتردد على هذا المسجد واجتمع بالناس ليعلمهم دينهم فنسب إليه³. وهناك جوامع أخرى في المدن الكبرى حيث أصدر الخليفة الموحي عبد المؤمن قرارا يقضي ببناء المساجد في جميع أرجاء البلاد.

لعبت المساجد دورا كبيرا في الحياة الفكرية والثقافية، حيث تنافس الناس في عهد الموحدين على طلب العلم ونبغ الكثير من العلماء مثل ابن طفيل وابن رشد وابن زهر والإدريسي وغيرهم⁴.

03- الرباط:

لم تكن مهمة الرباط مقتصرة على المهمة الحربية بل كان مكانا للعبادة ومعهدا تدرس به شتى العلوم ولاسيما العلوم الدينية وكان الرباط من المعاهد العلمية الهامة بالمغرب الإسلامي⁵، وزادت أهميته في عهد المرابطين والموحدين من الوجهتين الحربية والعلمية، ورغم أن الأربطة نشأت في أول أمرها بالشرق في مطلع الدولة العباسية.

فالرباط خاصة في العهد المرابطي كان مدرسة ثانوية والتعليم به هو شرح لأصول التعليم بالكتاب فهناك تفسير القرآن الكريم والحديث الشريف وكتب الفقه وشعر المواعظ التي تسمى الرقائق⁶. وفي العهد الموحي استطاع ابن تومرت بمنهجه التربوي إكمال رسالة الربط

1- محمد المنوني: المرجع السابق، ص18.

2- عبد الله كنون: النبوغ المغربي في الأدب العربي، ط2، ج2، منتدى التراث المغربي والأندلسي، لبنان، 1962، ص101.

3- أبو العباس أحمد الغبريني: المصدر السابق، ص178.

4- صالح فركوس: المرجع السابق، ص69.

5- عبد الله علي علام: المرجع السابق، ص292-293.

6- علي عشي: المغرب الأوسط في عهد الموحدين، مذكرة ماجستير، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2011/2012م، ص18.

التي بدأها المرابطون وان طوّر المهدي بساطة التعاليم الرباطية جاعلا من علم الكلام وعقيدة التوحيد أساس الثقافة الموحدية¹.

واستطاعت الربط المغربية أن تشارك في قيام التقاليد العلمية التي من نتائجها استقلال التعليم بكتب إفريقية دون الكتب المشرقية كما ظهرت التصانيف التربوية والطبية وهذا ما أدى إلى الاكتفاء الذاتي العلمي، فقد التقت الأندلس والمغربان الأقصى والأوسط وصقلية حول القيروان وجامع الزيتونة ورباط المنستير وسوسة².

وكان على سواحل المغرب الإسلامي وعلى مناطقه الصحراوية العديد من الرباطات، التي بمرور الزمن تطوّر بعضها إلى مدن وقرى تجمّع فيها السكان لتوفر الأمن وكسب العيش وطلب العلم وتحول بعضها إلى زوايا دينية للصوفية، ومن أهم الرباطات نذكر رباط تينمل دار الموحدين الذي كوّن الدعاة الذين يأمرّون بالمعروف وينهون عن المنكر، ورباط أهل مدينة العباد قرب تلمسان حيث مدفن أبي شعيب³. ورباط أبي محمد عبد الكريم الأزدي الذي عرف بابن يبكى من أهل قلعة بني حماد صاحب رباط ابن يبكى، فهو رباط يضاهي رباط العباد استقطب الطلبة والعلماء⁴.

إضافة إلى الدور الديني والعلمي الذي لعبه الرباط، فقد كان عبارة عن معاهد لصناعة الحبر والورق، ودار لاستنساخ المصاحف ومجامع الحديث وكتب الفقه⁵. وقد أطلقت لفظة الزاوية على بعض هذه الرباطات لاسيما في الأوساط الحضرية فبدأت تظهر الزاوية التي كان لها دور في ازدهار الحركة الفكرية والثقافية فبدأت بظهور زاوية أبي النور المشتري وزاوية تلميذه أبي شعيب أيوب بن سعيد، وزاوية صالح بن حرزهم تلميذ أبي حامد الغزالي⁶ وربما تكون

1- محمد الأمين بلغيث: الربط بالمغرب الإسلامي ودورها في عصري المرابطين والموحدين، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، معهد التاريخ، 1986-1987م، ص 279.

2- نفسه، ص 269-278.

3- عبد العزيز بن عبد الله، معطيات الحضارة المغربية، ج 1، ط 3، دار الكتب العربية، الرباط، 1963م، ص 273.

4- عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، ط 2، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، لبنان، 1980م، ص 356.

5- محمد الأمين بلغيث: المرجع السابق، ص 279.

6- عبد العزيز بن عبد الله، المرجع السابق، ص 129.

هي الأولى في هذا العصر¹، وزاوية أبي زكرياء يحي الزواوي ببجاية (ت: 611هـ/1234م)². وزاوية أبي الفضل قاسم بن محمد القرطبي (ت: 622هـ/1263م) كانت تأوي الطلبة ومريدي الشيخ³.

04- المدارس:

لم تعرف المدرسة⁴ باسمها هذا بالمغرب والأندلس حتى نهاية عصر الموحدين، إذ نقل المرينيون الذين تولوا الحكم بعد الموحدين النظام المدرسي إلى المغرب عن الأيوبيين بمصر في النصف الثاني من القرن السابع الهجري، فالمدارس هي تلك الأماكن أو الدور أو المباني المنظمة التي يقصدها طلاب العلم ويتولى التدريس فيها معلمون وأستاذة وعلماء اشتغلوا بالتعليم باعتباره من جملة الصناعات أي المهن كما ذكره ابن خلدون⁵، وقد تفنن المغاربة في بناء المدرسة متأثرين بالفن المعماري الأندلسي.

وقد كان للمدارس النصيب الأكبر من اهتمام الخلفاء الموحدين فقد أشرفوا على بنائها وتأسيس المعاهد في المغرب والأندلس فقد كانت هذه المدارس بما فيها من مدرّسين مبدعين وطلبة نجباء مراكز علمية ومعاهد تعليمية جذبت العديد من طلاب العلم فقام عبد المؤمن بإنشاء ملحقة بقصره لتخريج الحفظة ومدرسة الأوداية لتخريج ضباط البحرية⁶، كما بني مجموعة من مدارس في مراكش استدعى لها ابن رشد الحفيد ليستعين به على تنظيمها⁷، والمدرسة العامة لتخريج الموظفين، والمدرسة الملكية لتعليم الأمراء ومدرسة تعليم فن الملاحة في الرباط، وقد ذكر ابن القطان بأن عبد المؤمن أنشأ مدرسة للطلاب فيها نظام داخلي،

1- عبد العزيز بن عبد الله، المرجع السابق، ص 146.

2- أحمد الغبريني، المصدر السابق، ص 137-138.

3- نفسه، ص 162-163.

4- ظهرت المدرسة بالمشرق قبل ظهورها بالمغرب بنحو ثلاثة قرون، إذ كانت المدرسة البيهقية بنيسابور أول من حمل اسم

المدرسة قبل نهاية القرن الرابع الهجري. للمزيد، ينظر: عبد العزيز فيلاي: تلمسان في العهد الزياني، دراسة

سياسية، عمرانية، اجتماعية، ثقافية، ج 2، (د ط)، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002م، ص 325.

5- مصطفى الشكعة: المغرب والأندلس أفاق إسلامية حضارة إنسانية ومباحث أدبية، ط 1، دار الكتاب المصري، القاهرة،

1987م، ص 254.

6- حسن علي حسن: المرجع السابق، ص 401.

7- فانتن كوك: المرجع السابق، ص 101-102.

وأعطى لطلبتها الفقراء منحة خاصة حيث يقول: "ومن مكارمه العظيمة حصّته الناس على العلم، وإرادته لهم ولبنيتهم ما يريده لنفسه وبنيه، واستدعاؤه الصبيان الصغار من أبناء اشبيلية وقرطبة وفاس وتلمسان إلى حضرته العليا ليعلمهم، ويحفظهم القرآن وحديث النبي صلى الله عليه وسلم، فانتخب الأولاد النجباء الحفاظ من كل بلد"¹.

ومن المدارس التي ذكرها المؤرخون أيضا مدرسة المسجد الأعظم بالطالعة في سلا، وبمراكش حبسها المنصور على الإمام أبي العباس السبتي، أما أول من أسس مدرسة خصوصية بالمغرب على النموذج الشرقي فهو عالم من سبتة يدعى أبو الحسن الشاري² الغافقي السبتي،³ وقد وصفها مؤلف صلة الصلة بقوله: "وكان قد تحصل عنده من الأعلاق النفسية وأمّهات الدواوين العلمية ما لم يكن عند أحد من أبناء عصره ولا تحصل عند كثير ممن تقدمه. وبنى مدرسة ببلده سبتة ووقف عليها من الكتب ما يحتاج إليه، وشرع في تكميل ذلك النسق الجاري بالمدارس ببلاد المشرق، فعاق عن كمال غرضه في ذلك قواطع الفتن"⁴.

ويذكر يوسف أشباح بأن عبد المؤمن أنشأ مدرسة لتخريج رجال السياسة وموظفي الحكومة وقادة الجيش وكانت تضم زهاء ثلاثة آلاف طالب من أبناء الأكابر، كانوا يحفظون القرآن ويدرسون رسائل المهدي ويحفظونها على ظهر قلب كذلك كانوا يدرسون عدة كتب في إدارة الولايات ومزاولة شؤون الدولة دراسة حسنة وكان عبد المؤمن يجمعهم يوم الجمعة بعد الصلاة في قصره ويمتحنهم فيما درسوا⁵ وكان لعبد المؤمن ثلاثة عشر ابنا من هؤلاء الطلبة كانوا يبدون في هذه الامتحانات براعة في الفنون الحربية والمعارف الرفيعة⁶.

1- ابن القطان: المصدر السابق، ص ص 178-179.

2- هو علي بن محمد بن علي بن يحيى بن عبد الله أبو الحسن سبتي شاري الأصل نسبة إلى منطقة بالأندلس ولد بسبتة اغتنى من الدواوين شيء عظيم، توفي بسبتة سنة 571هـ 1175م. للمزيد ينظر: أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري الأوشي المراكشي: الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تحقيق محمد بن شريفة، السفر الثامن، (د ط)، أكاديمية المملكة المغربية، المغرب، 1984م، ص ص 555-557.

3- محمد المنوني: المرجع السابق، ص 17.

4- إبراهيم حركات: المرجع السابق، ج 1، ص 345.

5- يوسف أشباح: تاريخ الأندلس في عصر المرابطين والموحدين، ترجمة محمد عبد الله عنان، ج 2، ط 2، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1996م، ص ص 51-52.

6- Marçais (g): l'Afrique du nord française dans l'histoire, paris, 1973, p184.

كما أنشأ المنصور مدرسة ملحقة بقصره خصصها لأبنائه وباقي أفراد أسرته، وصفها الحسن الوزان قائلا: "كانت قاعدة مربعة غاية في الحسن يحيط بها ممر مع نوافذ رائعة ذات زجاج ملون، وحول القاعة خزانات كثيرة مصنوعة من الخشب المزخرف بنقوش مذهبة، طليت مختلف أجزائها بطلاء الذهب وباللازوردي الرفيع¹.

وبالقصة بمراكش توجد مدرسة في غاية الحسن فهي مؤسسة معدة للدراسة وسكنى مختلف الطلبة، تحتوي على ثلاثين حجرة وقاعة في الطبقة الأرضية، وكان كل طالب مقبول في هذه المدرسة ينفق عليه ويكسى مرة في السنة ويتقاضى الأساتذة مرتبا قدره مائة مثقال حسب نوع الدروس المطوقين بإلقائها. ولم يكن يقبل في هذه المدرسة إلا من كان يعرف مبادئ العلوم معرفة تامة².

كما قام الموحدون بإنشاء مجمعا علميا سمي بيت الطلبة وهو يشبه بيت الحكمة ببغداد حيث كان مركزا علميا وثقافيا وتعليميا يجتمع فيه العلماء من كل مكان³. كما لا ننسى الدور الذي لعبته المكتبات في ازدهار الحركة الفكرية، حيث اهتم الخلفاء الموحدون بإنشاء المكتبات والخزائن العلمية سواء في قصورهم أو في الأماكن العامة، شملت جميع أنواع العلوم والفنون وذلك لتدعيم العلم والعلماء، فكانت المكتبات ركيزة قوية للحركة الفكرية⁴.

ومما يدل على اهتمام خلفاء الدولة الموحدية بالمكتبات نلاحظه من خلال ما قام به يوسف بن عبد المؤمن الذي أخذ يجمع الكتب من أقطار الأندلس والمغرب لدعم المكتبات⁵ فقد قدرت المؤلفات العلمية وحدها باثني عشر ألف كتاب وقد كانت المخطوطات الفلسفية بأعداد هامة في هاته الخزنة⁶.

1- الحسن بن محمد الوزان: وصف إفريقيا، ج1، ط2، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983م، ص133.

2- نفسه، ص ص131-132.

3- محمد المنوني: المرجع السابق، ص17-29.

4- يوسف أشباح: المرجع السابق، ج2، ص251.

5- عبد الواحد المراكشي: المعجب، المصدر السابق، ص ص311-312.

6- أحمد شوقي بنين: تاريخ خزائن الكتب بالمغرب، ترجمة مصطفى طوبي، ط1، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش، 2003م،

ثانيا - مراحل التعليم ومناهجه

لقد اختلفت المناهج والطرق التعليمية بين المشرق والمغرب والأندلس، ولكنها توحدت في جانب ألا وهو مراحل التعليم حيث مرّ التعليم في كل هذه المناطق المذكورة بمرحلتين تعليميتين، وكان لكل مرحلة منهاجها حسب كل مؤسسة من مؤسسات التعليم، فكانت المرحلة الأولى التي تتم في الكتاتيب وموجهة للصبيان بمثابة التعليم الابتدائي في وقتنا الحاضر، أما المرحلة الثانية فهي بمثابة التعليم المتوسط والعالي.

01- المرحلة الأولى ومناهجها:

يتلقى فيها التلميذ العلم في الكتاب أو الزاوية تشبه هذه المرحلة التعليم الابتدائي في وقتنا الحاضر وتبدأ هذه المرحلة من سن الإدراك والتمييز أي في الخامسة أو السنة السادسة من عمره وتنتهي عند البلوغ على وجه التقريب من الثالثة عشر أو الرابعة عشر¹.

كان التعليم في هذه المرحلة يقتصر على قراءة القرآن مع حفظ بعض أجزاءه أو حفظه كاملا بالإضافة إلى التدريب على الكتابة وإتقان التجويد والإلمام ببعض أمور اللغة والنحو، ويحدد بن خلدون السبب في ذلك بأن أهل الملة متفقون في القول بأن القرآن يجب أن يسبق كل شيء إلى قلوب التلاميذ ليرسخ في نفوسهم الإيمان وعقائده على أن يتم هذا في الصغر ولا يخلطون ذلك بسواه في شيء من مجالس تعليمهم لا من حديث ولا فقه ولا شعر ولا من كلام العرب².

ولقد أشار ابن خلدون إلى أن أهل المغرب يجعلون القرآن الكريم وسيلة تعليمية يزاولون فيها بين حفظ القرآن وبين تلقي مبادئ القراءة والكتابة من خلاله، بالإضافة إلى المعارف الأولية التي تحصل لهم من خلال ذلك، وفي ذلك يقول: "اعلم أن تعليم الولدان القرآن شعار الدين، أخذ به أهل الملة ودرجوا عليه في جميع أمصارهم، لما يسبق إلى القلوب من رسوخ

¹ - محمد عادل عبد العزيز: التربية الإسلامية في المغرب، (د ط)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د ب)، 1987، ص8

² - ابن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ج2، ص381.

الإيمان وعقائده من آيات القرآن وبعض فنون الأحاديث وصار القرآن أصل التعليم الذي ينبني عليه ما يحصل بعد من الملكات¹.

وكان الأولياء في هذه المرحلة يختارون الأدباء الذين حسنت سيرتهم في الوسط الذي يعيشون فيه لأبنائهم لأنهم يرون أن المعلم كالعود وتلميذه بمنزلة الظل فمتى استقام العود استقام الظل والعكس إذا اعوج العود اعوج الظل² فكانوا يختارون من اتصفت فيهم الخصال الأخلاقية الدينية كالاستقامة والزهد والورع، كما كان يشترط في معلم القرآن المعرفة التامة بقواعد قراءة وتلاوة القرآن، فالمعلم الذي لا يعرف الإظهار والإدغام والإهمال والإعجام والتفخيم والترقيق وغير ذلك وأحكام القرآن لا تجوز له الحذقة³، وكذلك لا يقبل أن تصدر عن المدرّس أي هفوة دينية، فعبد الرحمن بن عجز الكتامي⁴ أخطأ في كلمة قرآنية فكُفّر وأُفتى فيه بعض الفقهاء بفاس بالاستتابة فسجن، غير أنه تمكن من الهرب قبل قتله⁵. ومحمد بن عبد العزيز التازغي⁶ قتل سنة 633هـ/1235م لأنه كان يفاضل بين الأنبياء⁷.

02- المرحلة الثانية مناهجها:

تشمل ما يشبه المرحلتين المتوسطة والعالية في عصرنا هذا وتبدأ من سن المراهقة تقريبا وقد يلحق الطالب مبكرا بتلك المرحلة في الحادية عشر من عمره حسب نبوغه، فلا يوجد في التعليم في العصر الوسيط بالمغرب بصفة عامة مرحلة المتوسط أو الثانوية كما هو متبع الآن،

¹ - ابن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ج2، ص538.

² - Abdallah Laroui; les origines sociales et culturelles du nationalisme (1830-1912), édition F.Maspero, 1980, p193.

³ - أحمد بن أبي جمعة المغراوي: جامع جوامع الاختصار والتبيان فيم يعرض للمعلمين وآباء الصبيان، تحقيق وتعليق أحمد جلول البدوي ورابع بونار، (د ط)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، (د س)، ص24.

⁴ - عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ج2، ص538.

⁵ - الحسين أسكان: المرجع السابق، ص139.

⁶ - هو محمد بن عبد العزيز التازغي أبو القاسم شيخ شيوخ ابن غازي الشيخ الشهير المفتي المحقق المتقن المشاور الخطيب البليغ الأفصح توفي مقتولا غدا لأنه كان كثيرا ما يفضل بين الأنبياء. للمزيد ينظر: بن القاضي: المصدر السابق، ص239.

⁷ - الحسين أسكان: المرجع السابق، ص139.

أما انتهاء هذه فهي مبهمة ومع ذلك يذكر بن خلدون أن المدة المسموح بها للطلبة للسكن في مساكن الطلبة هي ستة عشر عاما في المغرب¹.

في هذه المرحلة يضم التعليم علوما دينية مساعدة للمرحلة الأولى كالتفسير والحديث والتوحيد والفقه بالإضافة إلى النحو والبلاغة والمنطق ومبادئ الرياضيات والفلك حيث كانا يستعملان في التوقيت الديني وتقسيم الموارد ولعله من الممكن أن نضيف أيضا التاريخ الإسلامي والجغرافيا وشيئا من الكيمياء².

أما من ناحية المناهج فقد كان لعقيدة المهدي محمد بن تومرت الدينية الفكرية أثر كبير في هذا الجانب وذلك لأن فرض هذه العقيدة ونشرها وإقناع الأفراد بها يحتم الاهتمام بالمنهج التعليمي، لذلك كانت الدعائم الأساسية لهذا المنهج تدريس مؤلفات مؤسس الدولة الموحدية ابن تومرت كأعز ما يطلب والموطأ الذي ألفه هو والتركيز على العقائد والصلاة وحفظ القرآن وحفظ عقيدة ابن تومرت كل حسب لغته العربية أو البربرية، وفرض المذهب الظاهري فلذلك سادت الدراسات المتعلقة بهذا المذهب وانتشرت الأبحاث التي تخوض في الفلسفة وعلم الكلام³.

لقد أدخل الفكر التومرتي تعديلات على لائحة المواد الدراسية، وإثرائها بمواد جديدة، لم تكن تدرس في المدن المغربية قبل فترة الدولة الموحدية⁴، فكان ابن تومرت هو الهيئة العليا المنظم المبرمج لمختلف المقررات والمواد التي ستدرس، حيث سار على نهجه خلفاؤه خاصة الأولون⁵.

وضع الموحدون مناهج مختلفة في التعليم حسب تنوع مراكزه في الغرب الإسلامي، فقد كانت هناك مناهج للمدارس التي أنشأوها بالمغرب والأندلس، ومناهج الجوامع والمساجد، التي

¹ - هو عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم بن أحمد الكتامي يعرف بابن العجوز، من أهل سبتة ومن جلة فقهاءها يكنى أبا القاسم ولي القضاء بمدينة سلا ثم انتقل ثم إلى مراكش. للمزيد ينظر: ابن القاضي، المصدر السابق، ص 408

² - محمد عادل عبد العزيز: المرجع السابق، ص 10-11.

³ - محمد عبد الحميد عيسى: تاريخ التعليم في الأندلس، (د ط)، مطبوعات الغرب الإسلامي، (د ب)، (د س)، ص 176-198.

⁴ - بلقاسم فيلالي: التعليم والدعوة الموحدية، مذكرة ماجستير، جامعة منتوري، قسنطينة، 2004/2003م، ص 137.

⁵ - الطاهر محمد توات: أدب الرسائل في المغرب العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1993م، ص 12.

كانت تحف بها بلادهم، ومناهج للتعليم الإجباري الذي ابتكره الخليفة عبد المؤمن¹ ولم يسمح الموحدون للعلوم والتدريس إلا بالقدر الذي يفيد الدولة ولا يخرج عن توجهها وسيطرتها، بل وضعها تحت إشراف الدولة².

كان التعليم في المرحلة الأولى محددا بمنهج وبرنامج خاصين، حيث يلزم المتعلم حفظ القرآن وتعلم القراءة والكتابة ومعرفة شيء من اللغة العربية وآدابها، وبمجرد انتقاله إلى المرحلة العليا يجد نفسه حرا في اختيار المادة التي تستهويه³. وكان المؤدب يتولى مهمة تعليم الصبيان القراءة والكتابة وحفظ أجزاء من القرآن بصوت واحد على وجه التعليم علاوة على الإلمام ببعض علم اللغة والنحو والفقه⁴.

فنلاحظ في هذه المرحلة بأن تعليم القرآن هو المحور الأساسي الذي تقوم عليه العلوم الأخرى، لذا اهتم الموحدون بتعليم الصبيان القرآن، ويقول ابن خلدون في هذا الصدد: "فأما أهل المغرب فمذهبهم في الولدان الاقتصار على تعليم القرآن فقط، وأخذهم أثناء المدارس بالرسم ومسائله، واختلاف حملة القرآن فيه ولا يخلطون ذلك بسواه في شتى من مجالس تعليمهم، لا من حديث، ولا من فقه، ولا من شعر، ولا من كلام العرب إلى أن يحذف فيه أو ينقطع دونه"⁵. وكانت أوقات الدراسة في هذه المرحلة الأولى تبدأ من يوم السبت إلى يوم الخميس حيث تبدأ من صلاة الصبح إلى الضحى الأعلى من الظهر ويوم الجمعة عطلة⁶.

ويرى ابن خلدون أن برنامج التعليم في هذه المرحلة الأولى يقسم إلى ثلاثة مراحل: الأولى تلقين أصول الفن مع مراعاة عقل التلميذ واستعداده لإدراك هذه المسائل، ثم في المرحلة الثانية يستأنف في النظر في الفن نفسه، ويحسن أن يخرج بالتلميذ من الإجمال إلى التفصيل

¹ - مؤلف مجهول: الحلل، المصدر السابق، ص 150-151.

² - يوسف أشباح: المرجع السابق، ص 51.

³ - علي عشي: المرجع السابق، ص 171.

⁴ - كمال السيد أبو مصطفى: جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والعلمية في المغرب الإسلامي من خلال نوازل وفتاوي المعيار المعرب للونشريسي، (د ط)، مركز الاسكندرية للكتاب، الاسكندرية، 1996م، ص 112.

⁵ - عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ج 1، ص 740.

⁶ - فريدة لونس: الدور السياسي للتعليم في العهد الموحد: رسالة ماجستير في تاريخ المغرب والمشرق الإسلامي، المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة، الجزائر، 2011/2012م، ص 107.

مع عرض بعض المسائل الخلافية ثم ينتقل إلى المرحلة الثالثة حيث يعود إلى الفن نفسه فلا يترك عويصا ولا مبهما ولا مغلقا إلا وضحه وعندئذ لا يخلص التلميذ من الفنون إلا وقد استولى على ملكته¹.

أما مناهج المرحلة الثانية فهي تختلف من مؤسسة إلى أخرى ففي المدرسة يذكر صاحب الحل الموشية بقوله: "وربى عبد المؤمن الحفاظ صغار الطلبة بحفظ كتاب الموطأ، وهو كتاب أعز ما يطلب وغير ذلك من تأليف المهدي، وكان يدخلهم في كل يوم جمعة بعد الصلاة داخل القصر فيجتمع الحفاظ فيه، وهم نحو ثلاثة آلاف كأنهم أبناء ليلة واحدة وهم من المصامدة وغيرهم، قصد بهم سرعة الحفظ والتربية على ما يريده، فيأخذهم يوما لتعليم الركوب، ويوما بالرمي بالقوس، ويوما بالعموم في بحيرة صنعها خارج بستانة مربعة"².

أما نفقتهم وسائر مؤنتهم كانت من عنده، وخيلهم وعددهم كذلك، ولما كمل له هذا المراد فيهم عزل بهم أشياخ المصامدة عن ولاية الأعمال والرئاسة، وقال: العلماء أولى منكم فسلموا لهم. ويفيد الأستاذ يوسف أشباح في تاريخ الأندلس أن هؤلاء الحفاظ كانوا يدرسون أيضا عدة كتب في إدارة الولايات ومزاولة شؤون الدولة دراسة حسنة³. ومن الثابت أن هؤلاء الطلبة كانوا يدرسون على الأسلوب التقليدي، حيث يحفظون القرآن وكتب ابن تومرت وليس كما يقول بعض المؤرخين المحدثين أنهم يتخرجون من المدرسة العامة للموظفين⁴.

فهذا الكلام يصور لنا بعض ملامح هذه المدرسة، ويبين أنها كانت مخصصة لتخريج موظفين وعلماء، كما أن الجوامع كانت تخرج العلماء الآخرين، ولا يبعد أن باقي مدارس الموحدين غير البحرية عامة وخاصة كانت مناهجها على غرار منهاج تلك المدرسة وإن كانت المدرسة الملكية تمتاز بمبالغة الخلفاء الموحدين في اختيار أساتذتها.

¹ - الحسن السائح: المرجع السابق، ص 211-212.

² - محمد المنوني: المرجع السابق، ص 23.

³ - يوسف أشباح: المرجع السابق، ص 51.

⁴ - عبد الواحد المراكشي: وثائق المرابطين والموحدين، المصدر السابق، ص 218.

كما كانت المناهج في أطوار متقدمة من المرحلة الثانية -التعليم الجامعي في وقتنا الحاضر - حيث يكون التلاميذ فيها أحرارا في إلقاء الأسئلة على الأساتذة، ويكونون أحرارا أيضا في اختيار الأستاذ الذي يقرأون عليه¹.

كما كانت للمساجد مناهج تسير وفقها الدراسة، فكانت العادة أن لا ينتصب للتدريس في الجوامع الكبار إلا من انتهت إليه المهارة في العلم والدين في وقته، وكانوا ينازعون أنفسهم في هذه المرتبة، حيث كان أسلوب التدريس عندهم ممتازا وكان يقوم على التدرج بالمتعلمين في مدارج التعليم، ومن أمثلة هذا ما جاء عن الأستاذ أبي علي الشلوين² أنه دخل مراكز فوجد الشيخ الجزولي³ النحوي الذي ولد بالسوس الأقصى سنة 540هـ/1145م⁴ يدرس في مسجده علم العربية فلما قد إليه إذا بين يديه حلقة من المبتدئين يقرئهم على قدر أفهامهم فألقى عليه سؤالا فأجابه بجواب متوسط على قدرهم ثم ارتفعوا فجاءت حلقة أخرى للنجباء الشادين فكان يلقي حينئذ الأسئلة فيجيبه بغاية التحقيق والتدقيق⁵.

ومن الأمثلة أيضا ما جاء عن الحفيد أبي بكر بن زهر الأندلسي الإشبيلي⁶ وهو ممن أقام بمراكش من المغرب حفظ القرآن وسمع الحديث وأقبل على الأدب واللغة العربية وانفرد

¹ - محمد المنوني: الرجع السابق، ص20.

² - هو أبو علي عمر بن عبد الله الشلوين الأزدي الإشبيلي ينسب إلى شلوينة من حصون غرناطة الساحلية أو قرية من إشبيلية أو أنها تعني الأشقر اتلأزرق فقد اختلفت الروايات في نسبة الشلوين ولد سنة 562هـ بإشبيلية عكف منذ صباه على النحو حتى برع فيه ولم يترك أحدا في عصره يوازيه وكانت له عدة مصنفات في القراءات والحديث والفقه وفي النحو، توفي سنة 645هـ. للمزيد ينظر: حماد بن محمد الثمالي: حواشي المفصل من كلام الأستاذ أبي علي الشلوين، (دط)، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1986م، ص1-40.

³ - هو أبو موسى عيسى بن عبد العزيز بن يلبخت بن عيسى بن يوماريلي الجزولي اليزدكتي ولد سنة 540هـ، كان إماما في علم النحو كثير الإطلاع على دقائقه وغريبه وشاذه وصنف فيه المقدمة التي سماها القانون وبعد أن دخل الديار المصرية رجع الجزولي إلى بلاد المغرب بعد أن حج وأقام بمدينة بجاية مدة والناس يشتغلون عليه وانتفع به خلق كثير توفي بمراكش سنة 610هـ/1213م. للمزيد ينظر: بن خلكان: المصدر السابق، ج3، ص488-490.

⁴ - محمد الكانوني العبدى: جواهر الكمال في تراجم الرجال، تحقيق علال ركوك، تقديم محمد بنشريفية، ج2، ط1، جمعية البحث والتوثيق والنشر، الرباط، 2004م، ص67.

⁵ - محمد المنوني: المرجع السابق، ط2، ص25.

⁶ - هو أبو بكر محمد بن عبد الملك بن زهر بن عبد الملك بن محمد بن مروان بن زهر الإيادي الإشبيلي، أخذ الطب عن جده أبي العلا وبلغ الغاية والخط الوافر من اللغة والأدب والشعر وعلو المرتبة في العلاج عند الدولة مع السخاء والجود=

بالإجادة في نظم الموشحات¹، إذ أتى إليه من الطلبة اثنان، فترددا إليه ولازماء مدة، ثم أنهما أتياه يوما وبید أحدهما كتاب صغير في المنطق فأخذه منهما ورماه جانبا ثم لحق وراءهما حافيا ليضربهما، فلما اعتذرا له قبل عذريهما وأمرهما بأن يجيدوا حفظ القرآن وأن يشتغلوا بقراءة التفسير والحديث والفقه وأن يواظبوا على مراعاة الأمور الشرعية فلما امتثلوا أمره وأتقنوا معرفة ما أشار به عليهم وصارت لهم مراعاة الأمور الشرعية سجيئة. كانوا يوما عنده وإذا به قد أخرج لهم الكتاب الذي كان رآه معهم في المنطق وقال لهم الآن صلحتم لأن تقرأوا هذا الكتاب وأمثاله علي².

كان المسجد عبارة عن معهد علم قائم بذاته خاصة إذا علمنا أن المساجد الجامعة كان يدرس بها أكثر من معلم واحد ويقتسم الدور فيها بين الفقهاء وكان هناك أكثر من مجلس للمعلمين في أنحاء المسجد الواحد، وهذا يجعلنا نستخلص أن عدد حلقات الدرس كثيرة خلال الفترة الموحدية³، وكان العلماء في المساجد يبدأون دروسهم قبل طلوع الشمس بساعة وينتهون في الساعة الواحدة بعد الزوال، ويقومون بتدريس العلوم الدينية والعقلية والاجتماعية⁴. كما كان التلاميذ في هذه المرحلة الثانية أحرارا في إلقاء الأسئلة على الأستاذ، كما كانوا أحرارا في اختيار الأستاذ الذي يقرأون عليه⁵.

نلاحظ أن منهج التعليم في هذه المرحلة الثانية في العهد الموحيدي كانت فيه الدراسات الدينية هي أولى الدراسات، حيث وضع المهدي بن تومرت منهجا تعليميا خدم دعوته الإصلاحية، فمنذ وصوله فاس كما عرفنا قام يدرس العلم في مساجدها⁶، كما ألف لهم الكتب كالعقائد على رأيهم مثل المرشدة في التوحيد وكتاب التوحيد باللسان البربري وهو يتكون من

=والحشمة أخذ عنه ابن دحية وأبو علي الشلوبين ولد سنة 507هـ وتوفي بمراكش في ذي الحجة سنة 595هـ/1199م. للمزيد ينظر: الذهبي: المصدر السابق، ج21، صص325-326.

¹ - رحاب خضر عكاوي: الموجز في تاريخ الطب عند العرب، (د ط)، دار المناهل، بيروت، (د س)، ص323.

² - محمد المنوني: المرجع السابق، صص25-26.

³ - علي عشي: المرجع السابق، ص103.

⁴ - حسن إبراهيم حسن: المرجع السابق، ص583.

⁵ - محمد المنوني: المرجع السابق، ص20.

⁶ - محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني المعروف بابن أبي دينار: المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، ط3، دار المسيرة، بيروت، 1993م، ص134.

سبعة أحزاب بعدد أيام الأسبوع وأمرهم بقراءة حزب واحد منه كل يوم إثر صلاة الصبح بعد الفراغ من حزب القرآن، وتولى ابن تومرت بنفسه تعليم أتباعه أمور وتعاليم عقيدته التوحيدية باللسان البربري والعربي¹.

كما كان لعبد المؤمن بصمته في مناهج التعليم في هذا العهد الذي شهدت خلال فترته الحركة التعليمية والثقافية نهضة مباركة، فقد أكد على متابعة دراسة القرآن والحديث واستنبط قوانين وأنظمة تتفق مع حاجات العصر والمجتمع المغربي الجديد المتطور، وألح على رجال القضاء والمعلمين أن يستعملوا خيالهم وأن يبتكروا إلى جانب اجتهاداتهم أنظمة وقوانين جديدة لإصلاح الحياة العامة².

ومن مناهج التعليم أيضا في العهد الموحيدي التعليم الإجباري الذي وضعه عبد المؤمن، ويقوم هذا المنهاج على وجوب تعلم الضروري من العقائد وما يتعلق بالصلاة لكل من انطوى تحت راية الموحدين، فجعله حتما لازما على كل مكلف رجالا ونساء، أحرارا وعبيدا، ورخص لمن يفهم اللسان البربري دون العربي أن يقرأ بلسانهم عقيدة ابن تومرت -التوحيد- أما الذين يفهمون العربية فكان لزاما أن يقرأوا عقيدة ابن تومرت العربية -المرشدة- كما أكد على العوام ومن في الديار في حفظ أم القرآن وما تيسر من القرآن³. فكان عبد المؤمن يؤكد على نوابه باختيار طلبة حيث يقول: "ولتقدموا طلبة أمناء من قبلكم يعلمون الناس القرآن وتوحيدهم وحفظه وحفظ أم القرآن وما تيسر من السور"⁴.

ويمكن أن نختم مناهج التعليم باقتراح ابن خلدون، حيث يقترح المنهج السليم الذي يجب إتباعه في التعليم والذي يعتمد على تقديم تعليم العربية والشعر على تعلم القرآن وسائر العلوم

¹ - فريدة لونس: المرجع السابق، ص 108.

² - نجيب زبيب: المرجع السابق، ص 338-339.

³ - محمد المنوني: المرجع السابق، ص 21.

⁴ - مجموع رسائل موحدية: المصدر السابق، ص 137.

على الاطلاع وذلك سبب فساد اللغة يلي ذلك تعليم الحساب، أما القرآن فيلحق هذه العلوم وفي الأخير تعلم أصول الدين ثم أصول الفقه، ثم الجدل ثم الحديث¹.

ولقد تنوعت كتب الدراسة في العهد الموحد في مختلف العلوم فيمكن أن نقسمها إلى ثلاثة مجموعات فكانت كتب خاصة بالتفسير والحديث والسيرة، وأخرى خاصة بالفقه والتصوف وثالثة خاصة بال النحو واللغة والأدب والحساب. ففي التفسير والحديث والسيرة كان يعتمد في دراستها على الكتب الآتية:

- صحيح البخاري وصحيح مسلم، وسنن أبي داود، كذلك سنن الترمذي وسنن النسائي ومسنند البزار الكبير وموطأ الإمام مالك وسيرة ابن إسحاق بتهذيب ابن هشام².
- موطأ ابن تومرت أعز ما يطلب وأحاديث الجهاد³
- الشهاب للقضاعي المسمى بشهاب الأخبار في الحكم الأمثال والآداب من الأحاديث النبوية⁴.

أما الفقه والتصوف فقد درسوه بعدة كتب أهمها النوادر لابن أبي زيد وكتاب ابن يونس وتهذيب البرادعي ورسالة أبي زيد القيرواني، ودرسوا الأصول بالبرهان لإمام الحرمين والمحلى فيما بعد وفي العصور المتأخرة ألف المهدي بن سودة حاشية على المحلى⁵. وكذلك الأحاديث التي جمعها ابن تومرت في الطهارة والأحاديث التي أمر يعقوب بجمعها المتمثلة في أحاديث الصلاة وكتاب ابن يونس، إضافة إلى الأحكام الصغرى لعبد الحق والتلخيص مختصر التقريب والإرشاد له ورجز ابن الكتاني. ورسالة ابن أبي زيد والمستصفي للغزالي، وعقيدة ابن تومرت العربية-المرشدة-⁶، وكذلك الإحياء للغزالي وعقيدته البربرية التوحيد - القواعد - الأمانة - لابن تومرت⁷.

¹ - رلى نبيه مخطوطة: علم العمران والتربية عند ان خلدون، رسالة ماجستير في الآداب، الجامعة الأمريكية في بيروت، لبنان، 1998م، ص53.

² - محمد المنوني: المرجع السابق، ص29.

³ - مؤلف مجهول: الحل، المصدر السابق، ص114.

⁴ - محمد المنوني: المصدر السابق، ص29.

⁵ - الحسن السائح: المرجع السابق، ص219.

⁶ - مجموع رسائل موحدية: المصدر السابق، ص132.

⁷ - مؤلف مجهول: الحل، المصدر السابق، ص109-110.

أما النحو فقد درّسوه بكتاب سيبويه وبكتاب الجمل، ثم الألفية بعد نظم ابن مالك، حيث أصبحت محور الدراسة النحوية بالنسبة للثانويين كما كان كتاب ابن آجروم المتوفي سنة 723هـ كتاب النحو المهطل بالنسبة للمبتدئين¹. ودرّسوا اللغة بشرح أبي ذر على الغريب وشرح أبي الطيب الشرقي على القاموس في أربع مجلدات في العصور المتأخرة². وشرح أبيات الجمل نكت على شرح الأعلام لشواهد كتاب سيبويه الاثنان هشام اللخمي السبتي³، كما درّسوا الحساب بكتاب لب اللباب في مسائل الحساب لأبي الحسن أبي فرحون القيسي، ومنظومة ابن الياسمين في الجبر⁴.

ثالثا - طرق التعليم

عرفت طرق التدريس والقيام بالتعليم في العهد الموحيدي تباينا من شيخ إلى آخر، ومن منطقة إلى أخرى، وكذلك من مؤسسة تعليمية إلى مؤسسة أخرى، وكانت طريقة التلقين هي الأكثر استعمالا عند أفاضل الفقهاء وأكابر العلماء وقد مارسها أيضا ابن تومرت في نشر دعوته، إضافة إلى طريقة السماع والقراءة، وطريقة المناظرة.

01- طريقة التلقين:

والتي عادة ما تكون في الكتاتيب حيث يجلس المعلم في الكتاب لتحفيظ القرآن الكريم وبعض مبادئ لرسم المصحف ومسائله واختلاف حملة القرآن فيه ولا يخلطون ذلك بسواه في مجالس تعليمهم مثل الحديث والفقه والشعر كلام العرب⁵، ويتم التلقين والتحفيظ إما بالقراءة في المصحف أو على الألواح أو التلقين عن ظهر قلب⁶.

¹ - الحسن السائح: المرجع السابق، ص229.

² - نفسه، ص230.

³ - محمد المنوني: المرجع السابق، ص30.

⁴ - نفسه، ص30.

⁵ - عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ج2، ص473.

⁶ - عبد الواحد المراكشي: المعجب، المصدر السابق، ص254.

وعادة ما كان الصبيان يرددون القطع المعدة للحفظ بصوت مرتفع ويجودون فيها فكانت أصواتهم تنبعث من مختلف المدارس القرآنية، وكل جماعة تقرأ من القرآن الكريم جزءا يختلف عما تقرأه الأخرى، رغم ذلك كان المعلم يكتشف الغلطة التي يغلطها التلميذ بين الجماعة¹.

كان الكتاب في أغلبه وسيلة لحفظ القرآن بدون فهم آياته كما بقي التعليم بصفة عامة يعتمد على الحافظة فقط، ولذلك لم تزدهر علوم الآلة المبنية على المنطق والعقل فقد ظلت جامدة غير متطورة². وفي هذا الصدد ينتقد ابن عربي ما يقدم في الكتابات بأنها عقيمة حيث يرى أن يقتصر المتعلم في التعليم الأول على البلاغة والنحو وعلوم العربية ويقدم له من نصوص الأدب البليغ ما يقوم به إدراك الطالب ويربي ملكته وإذا أخذت ثقافته الأدبية تقوى ينتقل إلى الحساب والرياضيات، وينتقد ابن عربي قومه على تلقيهم القرآن في أول الأمر فيقول: "ياغفلة أهل بلدنا في أن يؤخذ الصبي بكتاب الله من أول أمره يقرأ ما لا يفهم"³.

كان معلم الصبيان يجلس في وسط حلقتهم ويملي شيئا من القرآن الكريم وهم يكتبون على لوح خشبي مصقول بواسطة الدواة والقلم، وأثناء الإملاء ينظر المؤدب في ألواح الصبية ويقوم بإصلاح ما فيها من أخطاء⁴، ثم يقوم بتحفيظهم سورا من القرآن وعند إكمال حفظ السورة يمتحن الصبي فيما هو معروف لحد الآن بالختمة وبعدها يخير الصبي إما مواصلة طلب العلم أو الانقطاع عنه⁵.

وكان بن تومرت يجمع طلبته من فترة لأخرى فيعرضون عليه ما حفظوه من القرآن أو من التوحيد أو علوم أخرى، وكل من لم يحفظ حزيه عزز بالسياط وكل من لم يتأدب بما أدب

¹ - روجيه لوتورنو: فاس في عصر بني مرين، ترجمة نقولا زياد، (د ط)، مؤسسة فرنكلين للطباعة والنشر، بيروت، 1967م، صص 170-171.

² - الحسن السائح: الحضارة الإسلامية في المغرب، ط2، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، 1986م، صص 216.

³ - نفسه، صص 210-211.

⁴ - أبو العباس أحمد بن يحيى الونشريسي: المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقيا والأندلس والمغرب، أخرجه محيي حجي وآخرون، ج8، (د ط)، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، 1981م، صص 244.

⁵ - بن خلدون: العبر، المصدر السابق، ج3، صص 213-223.

به ضرب بالسياط المرة والمرتين فإن ظهر منه عناد وترك امتثال الأوامر قتل¹، ولم يكن يعرض عليه طلبته الملائمون له فحسب بل حتى عندما كان يمر بالمدن ويعلم العلم كان الطلبة يعرضون عليه ما يحفظونه².

02- طريقة السماع والقراءة:

وفيها يقوم الأستاذ في مجلسه بإلقاء دروسه على طلبته ووردت العديد من ترجمات الطلبة الذين تلقوا تعليمهم بهذه الطريقة على أيدي الشيوخ فهذا منصور بن مسلم الزرهوني المتوفي سنة (556هـ / 1161م) سمع من عباد بن سرحان صحيح مسلم وجامع الترمذي وعلى ابن أحمد بن أبي بكر المقرئ المعروف بابن حنين المتوفي عام (569هـ / 1173م) سمع من علي بن القاسم خلف بن فرتون الموطأ والسير وعلم القرآن، كما كان لبعض العلماء عناية بسماع الحديث وروايته وذكر أسانيده من الطلبة³.

كانت هذه الطريقة تسود في مرحلة أعلى من المرحلة التعليمية السابقة حيث يقوم طالب من الطلاب بقراءة نص من كتاب⁴ أو فقرات منه ثم يقوم الأستاذ بتولي عملية الشرح وتبسيط ما ورد من المفردات الصعبة⁵.

وقد مارس ابن تومرت هذه الطريقة بعد عودته من المشرق من خلال جملة الكتب التي أحضرها معه إضافة إلى مناقشة الكتب التي ألّفها⁶.

¹ - حسن بن علي بن محمد بن عبد الملك الكتامي ابن القطان: نظم الجمان لترتيب ماسلف من أخبار الزمان، تحقيق محمد علي مكي، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990، ص83.

² - أبو بكر البيهقي: المصدر السابق، ص29-30.

³ - جمال أحمد طه: المرجع السابق، ص273.

⁴ - ابن خلدون: العبر، المصدر السابق، ج3، ص214.

⁵ - القاضي عياض: ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تحقيق محمد بن شريفة، ج5، (د ط)، مطبعة فضالة المحمدية، المغرب، (د س)، ص80.

⁶ - مجهول: الحل، المصدر السابق، ص110.

03- طريقة المناظرة:

وهي طريقة من طرق التعليم وأيسر سبيل للحصول على الملكة والحدق في العلوم على حد تعبير ابن خلدون وهذه الطريقة وإن لم تكن منتشرة بكثرة في المغرب في ذلك الوقت إلا أنها كانت معروفة لديهم ومستعملة¹.

وترتكز هذه الطريقة على التحليل والتعليل والمحاورة وابتعادها عن أساليب الحفظ والاستظهار ويشكل الطالب المحور فيها للوصول إلى حل القضايا ويكتفي الشيخ بتوجيه الحديث والمناظرة وإدارتها².

وساعد في انتشار هذه الطريقة ممارستها من قبل ابن تومرت منذ البداية سواء للتدريس أو للتصدي لفقهاء المرابطين³ كما شجع خلفاء بني عبد المؤمن على مجالس وندوات رفيعة تتم فيها مناظرات كبيرة⁴.

1- ابن خلدون: العبر، المصدر السابق، ج2، ص523.

2- نفسه، ج3، ص215.

3- ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص 174-175.

4- ابن القطان: المصدر السابق، ص176.

الفصل الثالث

العلوم وأعلامها ببلاد المغرب في العهد الموحدي

أولا - العلوم النقلية وأعلامها

1- العلوم الدينية

2- العلوم اللغوية

ثانيا - العلوم العقلية وأعلامها

العلوم وأعلامها بالمغرب في العهد الموحد

إن اهتمام أمراء الموحدين بالعلم وتشجيعهم لرعايتهم بدراسة مختلف العلوم أدى إلى انتشارها وتنوعها، وتنوع أعلامها خلال هذا العهد، وللوقوف على هذه العلوم قمنا بتقسيمها إلى قسمين علوم عقلية شملت علوم الدين وعلوم اللغة بما فيها التاريخ، وعلوم عقلية شملت الجغرافيا والفلك، الفلسفة، الرياضيات، والطب.

أولاً - العلوم النقلية وأعلامها

1- العلوم الدينية: العلوم الدينية هي العلوم المستندة إلى الخبر عن الواضع الشرعي، ولا مجال فيها للعقل إلا في إلحاق الفروع من مسائلها بالأصول، وأصل هذه العلوم كلها هي الشرعيات من الكتاب والسنة¹، وتشمل علم القراءات والتفسير والحديث والفقه وأصوله وعلم الكلام والتصوف.

أ- علم القراءات:

اعتنى الموحدون بالقرآن حفظاً ودراسة وجعلوا ذلك جزءاً سياسياً من سياستهم التربوية والثقافية التي أثمرت على اهتمام المغاربة بعلم القراءات اهتماماً كبيراً²، ويمكننا أن نلمس هذا الاهتمام في عدة مظاهر منها أخذهم الناس بقراءة حزب من القرآن الكريم مرتين في اليوم، وذلك بعد صلاة الصبح وبعد صلاة المغرب، وقد تمسكوا بهذه العادة حتى في أوقات الحرب ومناذرة الأعداء³. ومن مظاهر هذا الاهتمام أيضاً أمر الخليفة عبد المؤمن بن علي نوابه في الولايات المختلفة بأخذ الناس بحفظ فاتحة القرآن الكريم، وما تيسر منه، وألزم هؤلاء النواب بأن يستعينوا في ذلك بمعلمين من مشاهير القراء لتحقيق هذا الهدف⁴.

¹ - ابن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ج1، ص549.

² - عبد المجيد النجار: المرجع السابق، ص478.

³ - بن صاحب الصلاة: المصدر السابق، ص164-405.

⁴ - مجموع رسائل موحدية: المصدر السابق، ص133-137.

وقد كان دور العلماء الأندلسيين بارزا في هذه العلوم بوفودهم على المغرب حيث أسهموا في رفع حركة التأليف بمشاركة أبناء المغرب¹، مثل المقري محمد بن عبد الله بن ميمون العبدري (ت: 567هـ/1171م) الذي استوطن مراكش وانتصب للتدريس فيها وانتفع بعلمه كثير من الناس²، وأبو الحسن علي بن محمد المرادي البلمسي (ت: 6هـ/12م)³.

وكيفما كان الأمر، فقد كان لهذا الاهتمام من جانب خلفاء الموحدين بالقرآن الكريم وعلومه أثره في ازدهار الدراسات القرآنية في عصرهم، وظهر أئمة كبار أثروا المغرب بالعديد من المصنفات القيمة، نذكر منهم أسماء النخبة الآتية: أبو بكر محمد بن محمد بن عبد الله بن معاذ الإشبيلي نزيل فاس (ت: 553هـ/1158م) كان إماما في صناعة الإقراء، وله فيها كتب جلية منها الإيماء إلى مذهب السبعة القراء، والإشارة في قراءة الأئمة السبعة المختارة وله أيضا أرجوزة في القراءات تسمى اللؤلؤة الغراء⁴. وأبو القاسم عبد الرحمن الأزدي التونسي (ت: 625هـ/1227م) تصدر للإقراء بمراكش وغيرها وله في هذا الشأن شرح الشاطبية. وقاسم بن محمد الزقاق (ت: 653هـ/1225م) كان مقرئا فاضلا أخذ عنه الناس الكثير⁵. وأبو عبد الله محمد بن حسن المغربي (ت: 656هـ/1258م) وكان فقيها مقرئا ومن مصنفاته في هذا العلم شرح الشاطبية⁶.

ب- علم التفسير

هو علم يعرف به نزول الآيات وشؤونها وقصصها، والأسباب النازلة فيها وترتيب مكياها ومدنيها، ومحكمها ومتشابهها، وناسخها ومنسوخها، وعامها ومطلقها ومقيدها، ومجملها ومفسرها وحلالها وحرامها، وعددها ووعيدها وأمرها ونهيها وأمثالها⁷.

¹ - حسن علي حسن: المرجع السابق، ص 483.

² - سيف الدين الداودي: طبقات المفسرين، ج 2، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1982م، ص 176.

³ - محمد المنوني: المرجع السابق، ص 46.

⁴ - ابن القاضي: المصدر السابق، ص 264.

⁵ - نفسه، ص 513.

⁶ - ابن عبد الملك: المصدر السابق، ج 1، ص 513.

⁷ - محمد علي التهانوي: كشاف اصلاحات الفنون والعلوم، تحقيق علي دحدوح، ط 1، مكتبة لبنان، بيروت، 1996م، ص 31.

اهتمّ العلماء والمفسرون في العهد الموحد في المغرب بدراسة القرآن باعتباره المصدر الأول للتشريع الإسلامي، واهتموا بتفسيره وفهمه فعلى سبيل المثال كان الأمير يوسف بن عبد المؤمن من أحسن الناس نطقاً بالقرآن¹.

نهج الموحدون في دراسة علم التفسير نهجا يختلف عن النهج الذي سار عليه المرابطون، حيث إنهم كانوا يؤولون المتشابه من الآيات متأثرين في ذلك بابن حزم الذي اعتمد على التأويل في تفسير المتشابه²، وقد برز في هذا الجانب أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي (ت: 581هـ/1185م) صاحب كتاب التعريف والأعلام بما أبهم في القرآن العزيز من الأسماء والأعلام، والذي نحا فيه منحى تأويليا عند تفسير بعض الآيات. فقد ظهر عدد كبير من مشاهير المفسرين الذين حظوا بشهرة واسعة في المغرب والأندلس على حد سواء وتحتفظ كتب التراجم بتراجم كثيرة لهم، ولعلّ من أهمهم:

- أبو العباس أحمد بن فرتون السلمي الفاسي ألف في الأعلام المبهمة في القرآن كتابه الاستدراك والإتمام استدرك فيه على السهيلي في كتابة التعريف والإعلام بما أبهم في القرآن العزيز من الأسماء والأعلام³. وأبو يعقوب يوسف بن إبراهيم الورجلاني (ت: 570هـ/1174م) الذي ألف تفسير القرآن في سبعين جزءا⁴.

- أبو الحسن علي بن أحمد الحراي المراكشي (ت: 637هـ/1239م) اقرأ الفاتحة في نحو ستة أشهر، ابتدع علما جديدا لقواعد التفسير، فكان يلقي في التعليم قوانين تنتزل في علم التفسير منزلة أصول الفقه من الأحكام، وعلى أحكام هذه القوانين ألف كتابه مفتاح اللب المقفل على فهم القرآن المنزل⁵.

¹ - علي عشي: المرجع السابق ، ص204.

² - بن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل: تحقيق محمد إبراهيم نصر وعبد الرحمن عميرة، ج2، (د ط)، دار الجيل بيروت، (د س)، ص350.

³ - ابن القاضي: المصدر السابق، ص ص117-118.

⁴ - عبد الحميد حاجيات: الجزائر في التاريخ، ج3، (د ط)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م، ص340.

⁵ - أحمد بابا التتكتي: نيل الابتهاج بتطريز الديباج، تقديم عبد الحميد عبد الله الهرامة، ط2، منشورات دار الكاتب طرابلس، ليبيا، 2000م، ص318.

وممن نبغ في علم التفسير على هذا العصر من المغاربة:

-علي بن عبد الله بن ناشر بن المبارك الوهراني أبو بكر (ت:615هـ/1218م) أصله من مدينة وهران بالجزائر¹، وله كتاب في تفسير القرآن الكريم². وعمران بن موسى بن ميمون السلوي (ت:648هـ/1250م) وكان مفسرا حافظا مستبحرا في ذكر المسائل³.

ج- علم الحديث

ازدهر الحديث في هذا العصر ازدهارا كبيرا، وقد استمد نهضته من اهتمام الموحدين به اهتماما كبيرا، فالخليفة عبد المؤمن أمر بحرق كتب الفروع ورد الناس إلى قراءة الحديث، والخليفة يوسف بن عبد المؤمن أمر بجمع أحاديث الجهاد وجعلها مجموعة واحدة، وأخذ يملئها بنفسه على كبار رجال الدولة⁴، كما قام الخلفاء باستدعاء المحدثين من الأندلس، وتكليفهم بتدريسه إلى جانب المحدثين المغاربة، ومن هؤلاء على سبيل المثال:

-أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن خلف المالقي المعروف بابن الفخار (ت:590هـ/1193م) كان من مشاهير المحدثين صدرا في حفاظهم، معروفا بسرد المتون والأسانيد مع معرفته بالرجال وذكر الغريب، كان يستظهر حفظا صحيح مسلم وسنن أبي داود وموطأ الإمام مالك، ولمكانته في علم الحديث استدعاه الخليفة يعقوب المنصور لإسماع الحديث في مراكش، وقد قدم إليها بناء على هذا الاستدعاء سنة (580هـ/1184م) وكان الخليفة يجلّه ويقربه ويرفع من شأنه ويستصحبه في غزواته⁵.

كما أبدى الخليفة يعقوب المنصور عناية بعلم الحديث، من خلال عنايته بطلبة الحديث، فنالوا حظوة كبيرة، وكانوا أحب الناس إليه، وقد قال فيهم يوما في جمع من الموحدين: "يا معشر

¹-عادل نويهض: معجم المفسرين من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، مج3، ط3، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، 1988م، ص367.

²-جلال الدين عبد الرحمن السيوطي: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ج1، (د ط)، دار الفكر، بيروت، 1979م، ص181-182.

³- ابن عبد الملك: المصدر السابق، ج8، ص243.

⁴- حسن علي حسن: المرجع السابق، ص485.

⁵- ابن الآبار: المصدر السابق، ج2، ص69.

الموحدين، أنتم قبائل فمن ناله منكم أمر فزع إلى قبيلته، وهؤلاء الطلبة لا قبيل لهم إلا أنا فمهما نابهم من أمر فأنا ملجؤهم وإلي فزعهم وإلي ينتسبون¹

هذا ولما كانت الدولة الموحدية قد جعلت من دراسة علم الحديث والاهتمام به وسيلة من وسائلها للقضاء على كتب الفروع المالكية فقد وجدت بعض المؤلفات -في الحديث- التي تبنت الدولة نشرها وأمرت بتدريسها ومن ذلك "موطأ بن تومرت" الذي ألفه باللغة العربية وهو عبارة عن مختصر لموطأ الإمام مالك بعد حذف أسانيده وغيره من الكتب الأخرى².

ومن العلماء والمحدثين الذين برزوا في مجالي التدريس أو التأليف نذكر منهم: القاضي عياض بن موسى اليحصبي (ت: 544هـ/1149م) وكان إماما في الحديث ومن أكابر الحفاظ ومن أبرز مصنفاته طبقات المالكية، شرح مسلم، المشارق في الحديث الغريب³.

-عبد الحق بن عبد الرحمن بن عبد الله الإشبيلي (ت: 582هـ/1186م) وكان عالما بالحديث عاكفا على تدريسه والتصنيف فيه، ومن أبرز مصنفاته كتاب الجمع بين الصحيحين وكتاب المعتل من الحديث وكتاب الجامع الكبير في الحديث⁴.

-محمد بن عبد الله بن طاهر الحسني الشافعي (ت: 608هـ/1211م) كان معتنيا بعلم الحديث وإسماعه ذاكرة لأسانيده ومتونه⁵، بصيرا بعلمه عارفا برجاله عني بهذا الشأن أتم عناية⁶. وعلي بن محمد بن عبد الملك الكتامي الشافعي الشهير بابن القطان (ت: 628هـ/1230م) كان معتنيا بعلم الحديث وإسماعه ذاكرة لأسانيده ومتونه⁷، وله مصنفات منها نفع

¹ - عبد المجيد النجار: المرجع السابق، ص 479.

² - حسن علي حسن: المرجع السابق، ص 485.

³ - أبو عبد الله محمد بن الهادي الدمشقي: طبقات علماء الحديث، تحقيق أكرم البوشي وإبراهيم الزبيق، ج 4، ط 2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1996م، ص 78-81.

⁴ - ابن الزبير: صلة الصلة، تحقيق ليفي بروفنسال، ج 4، ط 2، معهد العلوم العليا المغربية، الرباط، 1973م، ص 91.

⁵ - جمال أحمد طه: المرجع السابق، ص 281.

⁶ - محمد المنوني: المرجع السابق، ص 48.

⁷ - ابن الفاضي: المصدر السابق، ج 2، ص 470-471.

الغل ونفع العلل في الكلام على أحاديث السنن لأبي داود وكتاب في الحديث الصحيح محذوف السند¹ وكان المنصور الموحد يعينه لقراءة الحديث بين يديه في مجالس قصره².

ومن المحدثين في هذا العصر: -أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن الصقر (ت: 598هـ/1201م) نزيل مراكش كان محدثا ثقة، له تصانيف مفيدة تدل على إدراكه وجودة تحصيله لفنون من المعارف، وله في هذا العلم شرح كتاب الشهاب³. ومحمد بن قاسم بن عبد الكريم التميمي وكان محدثا حافظا للحديث ورجاله وتواريخهم وطبقاتهم وله مصنفات منها: الأربعون حديثا وتحفة الطالب ومنية الراغب في الأحاديث النبوية العلية السنية⁴. ومحمد بن إبراهيم بن عبد الله المالقي المراكشي (ت: 637هـ/1239م) وكان من أتم الناس عناية بطريق الحديث ولقاء الشيوخ، وله في الحديث مصنفات منها كتاب الأربعين في فصل المعونة والمعين⁵.

ومن أئمة المحدثين في هذا العصر أيضا:

-محمد بن علي بن العربي الحاتمي (ت: 636هـ/1238م) الذي اختصر كتب الحديث الصحاح لتسهيلها لطلبة العلم، فاختصر صحيح البخاري، وصحيح مسلم والجامع الصحيح للترمذي وصنّف في الإسناد والرواية كتاب العوالي في أسانيد الحديث، وجمع كتاب الصحاح الستة في كتاب سمّاه "المصباح في الجمع بين الصحاح"، وجمع بين متون البخاري ومسلم وبعض أحاديث الترمذي في كتاب آخر أسماه "مفتاح السعادة"⁶.

-أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن أحمد بن هارون المرادي الفاسي (ت: 663هـ/1264م) كان أحفظ لأهل زمانه للحديث، وأذكّهم للتاريخ والرجال والجرح والتعديل والخلاف العالي يقوم

¹-جلال الدين عبد الرحمن السيوطي: طبقات الحفاظ، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1983م، ص281.

²-عبد العزيز بن عبد الله: معلمة القرآن والحديث، المرجع السابق، ص100.

³-إبراهيم بن علي بن فرحون: الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، ج1، (د ط)، مطبعة المدينة، (د س)، 1972م، ص211-214.

⁴-ابن عبد الملك: المصدر السابق، ج8، ص356.

⁵-نفسه، ج6، ص94.

⁶-عثمان يحيى: مؤلفات ابن عربي تاريخها وتصنيفها، ترجمة أحمد محمد الطيب، (د ط)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 2001م، ص172-175.

على أمهات كتب الحديث الخمسة قياما حسنا، ويتكلم على أسانيدھا ومتونها، ولم يكن له في عصره مثيل¹.

د- علم الفقه وأصوله

هو علم يعرف منه استنباط الأحكام الشرعية الفرعية من أدلتها الإجمالية التفصيلية: القرآن والسنة والإجماع والقياس². وهو المسمى بعلم الحلال والحرام والشرائع والأحكام³، وقد ازدهر الفقه في العهد الموحد ازدهارا كبيرا وظهر على مظهرين المذهب الظاهري والمذهب المالكي، فأهل المغرب اختصوا بمذهب الإمام مالك ولم يتخذوا غيره مذهباً إلا في القليل لأن رحلاتهم كانت غالبا إلى الحجاز لذا اقتصرُوا على الأخذ عن علماء المدينة وشيخهم يومئذ الإمام مالك، وأما المذهب الظاهري فأخذ به الموحدون لأنهم أنكروا القياس وأبطلوا العمل به على طريقة أهل العراق فجعلوا المدارك كلها منحصرة في النصوص والإجماع وردوا القياس والعلّة إلى النص لأن النص على العلة نص على الحكم⁴.

وما قام به الخليفة يعقوب المنصور لدليل على حب الخلفاء الموحدين للمذهب الظاهري وهو حمل الناس على الأخذ بالمذهب الظاهري، فقد أحرق كتب المالكية⁵ كمدونة سحنون وكتاب ابن يونس ونوادر ابن أبي زيد القيرواني وواضحة ابن حبيب ومختصره وكتاب التهذيب للبرادعي وما جانسها ونحا نحوها بعد أن جرّد ما فيها من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وآيات القرآن الكريم⁶. ويعتبر المراكشي شاهد عيان على هذه الأحداث حيث يقول: "...لقد شهدت منها وأنا يومئذ بمدينة فاس، يؤتى منها بالأحمال فتوضع ويطلق فيها النار"⁷. ونبغ في هذا العصر فقهاء عظماء يستنبطون الفقه من معين الكتاب والسنة ويفتون ويحكمون بها كان

¹ - محمد المنوني: المرجع السابق، ص 48.

² - ابن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ج 1، ص 563.

³ - أبو زيد شلبي: تاريخ الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامي، (د ط)، مكتبة وهبة، القاهرة، 2012م، ص 188.

⁴ - جمال محمد طه: المرجع السابق، ص 282.

⁵ - ابن خلكان: المصدر السابق، ج 7، ص 11.

⁶ - جمال محمد طه: المرجع السابق، ص 284.

⁷ - عبد الواحد المراكشي: المعجب، المصدر السابق، ص 198.

على رأسهم الخليفة المنصور نفسه، كان يرعاها ويشجعها¹ وذكر السرخسي في رحلته أنه كان يتكلم في الفقه كلاما بليغا وأن الفقهاء وقته كانوا يرجعون إليه في الفتاوى وله فتاوى مجموعة².

هكذا وجد في العصر الموحد برنامج منهجي جديد يدعو إلى فتح باب الاجتهاد على مصراعيه، ولقد عاد اسم الإمام الغزالي إلى الظهور مرة ثانية بعد أن كان المرابطون قد قاموا بإحراق كتبه التي وصلت إلى المغرب والأندلس³.

ومن العلماء المغاربة الذين إنتحلوا المذهب الظاهري :

أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن هارون المرادي الفاسي (ت: 663هـ/ 1264م)، وأبو الحسن علي بن خيار الفاسي (كان حيا سنة: 600هـ/ 1203م) كان فقيها حافظا رافضا التقليد ميالا إلى النظر والاجتهاد⁴. وأبو الخطاب بن دحية الكلبي السبتي (ت: 633هـ/ 1235م)، وأخوه أبو عمرو (ت: 634هـ/ 1236م) وصفهما بن خليكان بالإجتهاد، والمراد أنهما كانا معتقدين المذهب الظاهري⁵.

أشرنا سابقا إلى أنّ أهل المغرب اختصوا بمذهب الإمام مالك ولم يحدوا عنه، وقد اتجهت المادة الفقهية نتيجة لذلك اتجاهها خاصا وأصبحت المؤلفات التي دونها علماء المالكية هي التي تحتل المكانة الأولى في الدراسة بالمساجد المغربية، إلى أن ظهر الموحدون وما كان من دعوتهم إلى الاجتهاد والاستنباط من معين القرآن والسنة، ونبذ كتب الفروع والتقليد، وقد كان لهذه الدعوة أثر في ازدهار الفقه والارتقاء بالدراسات الفقهية من الدراسة التقليدية المعتمدة على الفروع ونقل الأقوال إلى الاستنباط والاجتهاد والاعتماد على الحجج والبراهين، ولقد كان من أثر هذا النهج أن ظهر بالمغرب فقهاء عظام يستنبطون الفقه من معين القرآن والسنة نذكر أسماء النخبة التالية:

¹ - عبد الواحد المراكشي: المعجب، المصدر السابق ، ص 184.

² - أحمد المقري: المصدر السابق، ص 99.

³ - جمال محمد طه: المرجع السابق، ص 284.

⁴ - ابن القاضي: المصدر السابق، ج 1، ص 483.

⁵ - محمد المنوني: المرجع السابق، ص 54.

-أبو عبد الله محمد بن علي بن جعفر القيسي(ت:567هـ/1171م) كان حافظا للفقهاء نظارا بارعا في معرفة أصوله، له مؤلفات منها تسهيل المطلب في تحصيل المذهب، والتبيين في شرح التلقين، ومختصر نبيل في أصول الفقه¹. وأبو الوليد محمد بن رشد(ت:595هـ/1198م) الذي ألف كتاب بداية المجتهد ونهاية المقتصد، مزج القواعد الأصولية بالقضايا الفقهية، كما تعرض لمسائل الخلاف بين العلماء وأسباب الاختلاف بينهم، الذي نشأ غالبا من نظرة كل فريق لأدلة القضية موضع الخلاف².

-أبو محمد يشكر بن موسى الغفجومي(ت:598هـ/1201م) وكان إماما في الفقه المالكي، وله حواشي على المدونة³. ومحمد بن علي بن مروان الوهراني (ت:601هـ/1204م) كان فقيها مستبحرا في حفظ المسائل⁴.

-إسحاق بن إبراهيم بن يعمر الفاسي(ت:609هـ/1212م) كان فقيها حافظا للمذهب المالكي، قائما على المدونة يستظهرها عن ظهر قلب⁵. وعلي بن محمد الخزرجي الإشبيلي نزيل سبتة يعرف بالحصار (ت:610هـ/1213م) كان عالما بأصول الفقه وله فيه تصنيف، وله كتاب "البيان في تنقيح البيان" وكتاب "المدارك"، كما أن له عقيدة في أصول الدين شرحها في أربعة أسفار⁶. وأبو القاسم عبد الرحمن بن يوسف بن الحسن بن زانيف الفاسي (ت:612هـ/1215م) وكان فقيها عالما بالحديث وإليه تشد الرحال في مذهب مالك وكان يقوم على المدونة قياما تاما⁷. وعبد الرحمن بن محمد التامسني الشهير بالمكولي (ت:623هـ/1225م) وكان فقيها حافظا يستظهر كثيرا مما ألف في هذا العلم⁸.

¹ - ابن عبد الملك: المصدر السابق، ج8، ص325-327.

² - الذهبي: المصدر السابق، ج21، ص307-308.

³ - ابن الزيات: المصدر السابق، ص337-339.

⁴ - ابن عبد الملك: المصدر السابق، ج8، ص340.

⁵ - جمال محمد طه: المرجع السابق، ص284.

⁶ - نفسه، ص285.

⁷ - ابن الآبار: المصدر السابق، ج1، ص162.

⁸ - العباس بن إبراهيم السملالي: الإعلام بمن حلّ مراكز وأغامت من الأعلام، راجعه عبد الوهاب بن منصور، ج8، ط2، المطبعة الملكية، الرباط، 2002م، ص83.

-أبو الحسن علي بن أحمد الحرالي التجيبي المراكشي(ت:637هـ/1239م) وكان فقيها مبرزاً، ومن أعلم الناس بمذهب الإمام مالك، وكان يقرأ التهذيب ويبين في كثير من مواضعه أنه مخالف لأصل المدونة، ويبين ما وقع لمالك وأصحابه في الكتب التي وقع فيها النقل¹.

وكيفما كان الأمر، فقد ازدهرت الدراسات الفقهية في هذا العصر بالمغرب، وظهر عدد كبير من العلماء والفقهاء المبرزين. ولعل أهم ما نلاحظه من سياق تراجم هؤلاء العلماء أن معظم جهودهم انصرفت إلى دراسة الأصول لاستخراج الأحكام الفقهية من القرآن والسنة، كما نلاحظ أنهم اهتموا اهتماما كبيرا بمذهب الإمام مالك، وعنوا بالمدونة عناية كبيرة.

هـ- علم الفرائض والوثائق

يتبع الفقه علما الفرائض والوثائق -الميراث والزواج والطلاق وعقود البيع والشراء - وقد كانا مزدهرين على هذا العصر وممن برع في علم الفرائض:

-علي بن الحسين اللواتي الفاسي(ت:593هـ/1196م) وأبو الحسن علي بن أحمد الحرالي المراكشي(ت:637هـ/1239م) ويعد كتابه الوافي من أفضل ما ألف في هذا الشأن، لأنه أعطى الفرائض مؤصلة مفصلة معللة بأخصر بيان وأوضح تبيان².

-أبو الحسن علي بن محمد بن علي بن أبي عشرة الفاسي(ت:641هـ/1243م) وكان فقيها بصيرا بالفتوى مبرزاً في علم فرائض المواريث. وأبو عبد الله محمد بن محمد القلعي(ت:660هـ/1261م) كان فقيها عالماً بالفرائض³.

أما في علم الوثائق فقد ألف القاضي يوسف بن زيري الطرابلسي (كان حيا سنة 540 هـ/1145م) وله فيها كتاب الكافي في الوثائق. وأبو الحسن علي بن يحيى الصنهاجي (ت:585هـ/1189م) وله فيه مختصره المقصد المحمود في تلخيص العقود وهو كتاب مفيد جدا

¹ - الغبريني: المصدر السابق، ص 68-69.

² - نفسه، ص 146.

³ - ابن عبد الملك: المصدر السابق، ج 8، ص 195.

كثير استعمال الناس له لجودته¹. وأبو الحسن علي بن عبد الله بن إبراهيم الأنصاري نزيل سبتة (ت: 570هـ/1174م) قد برز في هذا العلم وله فيه كتاب النهاية والتمام في معرفة الوثائق والأحكام. ومحمد بن إسماعيل بن سعد السعود المراكشي (ت: 667هـ/1268م) وكان بارعا في علم الوثائق بصيرا بها وبعلاها نافذا في معرفتها².

و- علم الكلام

هو العلم الذي يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية، والرد على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذاهب السلف وأهل السنة³، ويعرفه التهانوي⁴ بأنه العلم الذي يقتدر معه على إثبات العقائد الدينية على الغير بإيراد الحجج ودفع الشبه ومنهجه عقلاني بامتياز يجعل العقل معيارا تقاس عليه الروايات السمعية وغايته تخليص العقيدة من الشوائب والعودة بها إلى نقائها الأول⁵، وعلى هذا يكون علم الكلام هو العلم المتعلق بالأحكام الأصلية أو الاعتقادية، التي جاءت أدلتها في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة معللة بأدلتها العقلية والتي أمر المسلمون بالإيمان بها، لذلك كان السلف الصالح يقرأون الآيات التي تتحدث عن صفات الله عز وجل دون أن يتعرضوا لتأويلها وتفسيرها وكانوا يقولون في حق هذه الآيات "أقروها كما جاءت"⁶.

وفي عصر الموحدين تقرر علم الكلام على مذهب إمام الموحدين ابن تومرت في التوحيد وكان مذهبه فيه كما جاء في المعجب على مذهب الأشعري في أكثر المسائل إلا في إثبات الصفات فإنه وافق المعتزلة في نفياها، تمكن ابن تومرت في تحويل أهل المغرب من الفهم العقدي المعتمد على ظواهر النصوص، إلى فهم يقوم على تأويل النصوص بما يحقق التنزيه الكامل لله تعالى في صفاته وأفعاله وذاته، ومن ثم ازدهرت الأشعرية في المغرب ازدهارا كبيرا

¹ - التبتكتي: المصدر السابق، ص 316.

² - ابن القاضي: المصدر السابق، ج 2، ص 480-481.

³ - ابن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ج 1، ص 580.

⁴ - التهانوي: المصدر السابق، ص 29.

⁵ - محمود إسماعيل عبد الرازق: سوسيولوجيا الفكر الإسلامي طور الانهيار، ج 2، ط 4، سينا للنشر، القاهرة، 2000م، ص 99.

⁶ - ابن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ج 1، ص 567-586.

في عصر الموحدين لتأثر ابن تومرت بابن حزم¹. كما ألف ابن تومرت في هذا العلم عقيدة باللسان البربري هي "المرشدة" كما صنّف في هذا العلم أيضا كتابا سمّاه "أعز ما يطلب" وعقائد في أصول الدين كان فيها مذهب أبي الحسن الأشعري في أكثر المسائل².

لقد نجح الموحدون في تأصيل علم الكلام كما تم لهم ذلك بشأن علم أصول الفقه، وصار علم الكلام مزدهرا بالمغرب، وكان الأندلسيون يرحلون لطلبه في المغرب³، ومن العلماء الذين اشتهروا بهذا العلم نذكر:

-أبو عمرو عثمان بن عبد الله القيسي المعروف بالسلالجي (ت:564هـ/1168م) كان إمام أهل المغرب في علم الكلام، وله فيه كتاب العقيدة البرهانية، لقب بمنقذ أهل المغرب من التجسيم وقد تتلمذ على يده الكثير من الطلبة في هذا العلم⁴.

-أبو الحسن علي بن محمد بن خليل المعروف بابن الإشبيلي (ت:567هـ/1171م) كان أصوليا ماهرا متكلما حاذقا، وهو الذي قرر علم الأصول وعلم الكلام بمدينة فاس وتصدى لشرح عقيدة ابن تومرت بجامع القرويين⁵.

-أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم الفندلاوي الفاسي (ت:596هـ/1199م) كان إماما في علم الكلام وأصول الفقه⁶. وعلي بن محمد الخزرجي الإشبيلي نزيل سبتة يعرف بالحصار (ت:610هـ/1213م) كان فقيها عالما بالأصول وعلم الكلام، وله فيه البيان وتنقيح البرهان لأبي المعالي، وعقيدة في أصول الدين شرحها في أربعة أسفار⁷. وأبو العباس أحمد بن

¹ - عبد الواحد المراكشي: المعجب، المصدر السابق، ص255.

² - جمال أحمد طه: المرجع السابق، ص294.

³ - ابن الأبار: المصدر السابق، ج2، ص293.

⁴ - جمال أحمد طه: المرجع السابق، ص294.

⁵ - ابن الزبير: المصدر السابق، ص101-102.

⁶ - ابن الزيات: المصدر السابق، ص335.

⁷ - الحسن السائح: المرجع السابق، ص231.

عبد الرحمن السرقسطي (ت: 559هـ/1163م) الذي درس بين طلبة الموحدين فتلقى مبادئهم وبرع في عقيدتهم وعلمها للناس¹.

- علي بن محمد بن إبراهيم الحصار الفاسي (ت: 620هـ/1223م) كان متحققا بعلم الكلام وله مصنفات فيه وله عقيدة سماها تلقين الوليد وخاتمة السعيد شرحها في أربعة مجلدات². وعبد الحق الإشبيلي البجائي (ت: 581هـ/1185م) له كتاب "العافية" في الوعظ والتذكير، وكتاب "الصلاة والتهج" وكتاب في الرقائق، وكتاب التوبة في سفرين، وكتاب العقابة³.

- يوسف بن محمد بن المعز المكلاطي الفاسي (ت: 626هـ/1228م) مهر في علم الكلام وأصول الفقه حتى قربه الخليفة يعقوب المنصور منه وألزمه حضور مجلسه، وكان شديدا على أهل الأهواء والبدع مناظرا لهم، وله مصنفات وأجوبة عن مسائل كان يسأل عنها في علم الكلام⁴.

ي- علم التصوف

يعد هذا العلم من العلوم الشرعية المحدثّة، وأصله العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها، والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه، والانفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة⁵.

لقد عاش في المغرب خلال هذا العصر الكثير من الصالحين الذين اتخذوا التصوف منهاجا لحياتهم، وتجمع حولهم الأتباع والمريدون ينهلون من علمهم ومعرفتهم نذكر منهم: -أبو الحسن علي بن إسماعيل بن محمد بن حرزم (ت: 559هـ/1163م) كان من كبار الصوفية ذو

¹ - لسان الدين بن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، تعليق وتقديم بوزياني الدراجي، ج1، ط1، دار الأمل للدراسات، الجزائر، (د س)، ص231.

² - ابن القاضي: المصدر السابق، ج8، ص209-212.

³ - علي عشي: المرجع السابق، ص231.

⁴ - ابن القاضي: المصدر السابق، ج8، ص388-389.

⁵ - ابن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ج1، ص611.

علم بالفقه والتصوف كان متأثراً بكتب الإمام الغزالي خاصة كتاب الإحياء¹. وأبو يعزى يلنور بن ميمون الهزميري (ت: 572هـ/1177م)². وأبو عبد الله محمد التاودي (ت: 580هـ/1184م)³.

وأبو مدين شعيب بن حسين الأنصاري (ت: 594هـ/1198م)⁴. ومحمد بن إبراهيم المهدي (ت: 595هـ/1198م)، وله في هذا كتاب الهداية⁵، ومحمد بن علي الفاسي (ت: 597هـ/1200م)⁶،

- محمد بن قاسم بن عبد الرحمن الفاسي (ت: 603هـ/1206م) وله في هذا العلم مصنفات منها كتاب أدب المريد والسالك والطريق إلى الواحد المالك وكتاب الإنابة في ذكر طريق أهل الاستجابة، وكتاب الإيضاح عن طريق أهل الصلاح، وكتاب بستان العابدين وريحان العارفين في ذكر أهل الصفوة والانقطاع إلى الله بالخلوة⁷.

- وأبو الحسن علي بن محمد الفاسي (ت: 604هـ/1207م) وهو من كبار الصوفية له في معاني التصوف⁸، ومحمد بن أحمد التلمساني (ت: 614هـ/1217م) صاحب كتاب حجة الحافظين ومحجة الواعظين في التصوف⁹.

- أحمد بن محمد بن عبد العزيز التلمساني (ت: 633هـ/1235م) ومن أثاره في هذا العلم مجاميع في التصوف¹⁰. ومحمد بن علي بن العربي الحاتمي الملقب بمحيي الدين (ت: 638هـ/1240م) حيث أسهم بشكل فعال في نهوض حركة الفكر الإنساني الإسلامي،

¹ - أبو العباس أحمد الخطيب بن قنفذ: انس الفقير وعز الحقيير، صححه محمد الفاسي وأدولف فور، (د ط)، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط، 1965م، ص 12-14.

² - ابن الزيات: المصدر السابق، ص 214.

³ - ابن القاضي: المصدر السابق، ج 1، ص 219.

⁴ - ابن الزيات: المصدر السابق، ص 319.

⁵ - محمد الكتاني: المصدر السابق، ج 3، ص 432.

⁶ - ابن الزيات: المصدر السابق، ص 335.

⁷ - محمد الكتاني: المصدر السابق، ج 3، ص 433.

⁸ - ابن الزيات: المصدر السابق، ص 435.

⁹ - ابن عبد الملك: المصدر السابق، ج 8، ص 266.

¹⁰ - عادل نويهض: المرجع السابق، ص 67.

وله عدة مصنّفات شملت التصوف والفلسفة والعلوم الأخرى¹، درّس بفاس واجتمع عليه الناس لسماع المحاضرات الصوفية²

-أبو الحسن علي بن عبد الله الشاذلي (ت:656هـ/1258م) هو عالم من أعلام الصوفية وقطب من أقطابها، أنشأ مدرسة صوفية كبيرة، أنشأ تلاميذها فرقا صوفية تشعبت من الفرقة التي نسبت إليه وهي الفرقة الشاذلية³، وتلقى الصوفية على يد الشيخ ابن حرزهم والشيخ عبد السلام بن مشيش⁴. وأبو عبد الله بن شعيب الهسكوري التونسي (ت:664هـ/1265م) الفقيه الصالح المدرّس⁵.

هكذا حظي المتصوفون بالتكريم والرعاية من خلفاء الموحدين وخاصة في عصر يعقوب المنصور، الذي أمر أن يجمع له المتصوفون من جميع البلاد حتى يصحبوه في حملته على بلاد الأندلس سنة 592هـ متبركا بهم⁶، وقد بلغ من تكريمه لأحد المتصوفين وهو أبو العباس أحمد بن جعفر الخزرجي السبتي (ت:601هـ/1204م)، أن توجه إليه بنفسه وصعد إليه الجبل مع جمع من الفقهاء للتبرك به، ومازال به حتى نزل معه وحبس عليه مدرسة للعلم والتدريس وزاوية للفقراء ودارا لسكناه بأحواز جامع الكتبيين⁷.

إلا أن هذه المكانة التي تمتع بها المتصوفون والتفاف الناس حولهم وتكريمهم لهم أثارت حفيظة بعض الفقهاء ومن ثم حاولوا النيل منهم والإيقاع بهم عند خلفاء الدولة، فقد سعى بعض الناقمين بالمتصوف أبي يعزي يلنور، فاستدعاه الخليفة عبد المؤمن بن علي وحبسه فترة ثم أخلّى سبيله حين تأكد من براءته⁸، وكذلك حين سعى بعض العلماء الحاسدين بأبي مدين

¹ عبد الرضا حسن جواد: أقطاب المدرسة الصوفية في بلاد المغرب والأندلس في عهد الموحدين، مجلة القادسية للعلوم الإنسانية، المجلد 13، العدد 2، (د ب)، 2010م، ص 143.

² الغبريني: المصدر السابق، ص 156-160.

³ جمال الدين الشيال: أعلام الإسكندرية في العصر الإسلامي، ط 1، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، 2001م، ص 162.

⁴ جمال أحمد طه: المرجع السابق، ص 162.

⁵ أبو العباس أحمد الخطيب بن قنفذ: الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تحقيق محمد الشاذلي النيفر وعبد المجيد التركي، (د ط)، الدار التونسية للنشر، تونس، 1968م، ص 127.

⁶ عبد الواحد المراكشي: المعجب، المصدر السابق، ص 354-363.

⁷ السملالي: المرجع السابق، ج 1، ص 262.

⁸ ابن الزيات: المصدر السابق، ص 113-115.

شعيب (ت: 594هـ/1198م) عند الخليفة يعقوب المنصور فأمر بإحضاره إلى مراكش إلا أن المنية عاجلته¹.

01- العلوم اللغوية

أ- اللغة والنحو:

نال علم اللغة عناية خاصة من الدارسين بالمغرب باعتباره العلم الموصل لمعرفة أسرار اللغة العربية ومعانيها وقد دفعهم إلى ذلك أن اللسان الغالب عبر القرون السابقة هو لسان البربر واللهجات المحلية ومن ثم أقبلت الرعاية منذ وقت مبكر على دراسة علم اللغة²، فقد شهد عصر الموحدين حركة لغوية نشيطة فابن تومرت الذي اهتم باللغة العربية ودرسها بالمشرق دراسة جيدة³، وعليه سار خليفته عبد المؤمن الذي رعى ابنه يوسف تربية دينية ولغوية حتى صار من علماء اللغة ومن المتضلعين في علم النحو، هذا العلم الذي نال بدوره عناية ورعاية باعتباره أداة تقويم اللسان، وقد اهتم ولاية الأمر بإحضار المؤدبين لأبنائهم وتربيتهم على النطق الصحيح وفهم قواعد اللغة، ومن أشهر علماء اللغة والنحو بالمغرب في هذا العصر نذكر منهم:

- أبو موسى عيسى بن عبد العزيز الجزولي المراكشي (ت: 606هـ/1209م)⁴ مؤلف الجزولية، ووله "شرح أصول ابن السراج" و"مختصر الفسر لابن جني"، و"الألفية لابن معط"⁵.
ومحمد بن أحمد بن هشام اللخمي⁶ (ت: 570هـ/1174م) وله عدة مؤلفات لغوية منها: "رسالة

¹ - أبو عبد الله محمد بن محمد بن مريم: البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، (د ط)، المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1908م، ص ص 113-114.

² - حسن علي حسن: المرجع السابق، ص 502.

³ - بلقاسم فيلال: المرجع السابق، 148.

⁴ - عبد الله كنون: ذكريات مشاهير رجال المغرب في العلم والأدب والسياسة، تقديم محمد بن عزوز، ج 1، ط 1، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2010م، ص 305.

⁵ - نفسه، ج 1، ص 161.

⁶ - هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن هشام بن خلف اللخمي السبتي ولد في سبتة كان مهرا في النحو واللغة وصنف فيها مصنفات متعددة. للمزيد ينظر: عبد الكريم محمد الأسعد: الوسيط في تاريخ النحو العربي، ط 1، دار الشواف للنشر والتوزيع، الرياض، 1992م، ص 154.

في تقويم لحن العامة" و"شرح الفصيح لشغب" و"الفصول" و"المجمل في شرح أبيات الجمل"¹. وأبو بكر محمد بن عبد الله (ت: 567هـ/1171م) وكان متبحرا في النحو وله "شرح الجمل"، و"شرح المقامات" وقد عظمت منزلته عند الخليفة المنصور الموحد².

-الحسن بن أحمد بن يحيى بن عبد الله الأنصاري الذي برع في النحو والعروض وتوفي بمالقة سنة 585هـ. وأحمد بن عبد الجليل التدميري (ت: 555هـ/1160م) كان عالما باللغة العربية وألف فيها عدة كتب منها: "التوطئة في اللغة العربية"، وله شرح على كتاب الفصيح، وكتاب "شفاء الصدور"³.

ب- الأدب:

يقصد به الإجادة في فني المنظوم والمنثور على الأساليب والمناحي العربية، جامعا من خلاله مسائل في اللغة والنحو تستقرى منها بعض قوانين اللغة العربية، كذلك ذكر بعض أيام العرب والمهم من أنسابهم الشهيرة وأخبارهم العامة⁴.

ازدهرت الآداب في عصر الموحدين فخليفتهم كان في مقدمة هؤلاء الأدباء وبالتالي طبع الدعوة بطابع العلم والأدب من أول يوم قامت فيه، فقامت على التدريس والخطابة لشرح الدعوة ونشرها بين القبائل، فالمهدي مثلا جند طائفة مختارة من تلاميذه لبث ونشر مبادئه، كان من بينهم عبد المؤمن بن علي ومحمد البشير وأبو حفص عمر الهنتاتي، فكان هؤلاء يخطبون باللغة العربية. وكان عبد المؤمن مؤسس الدولة شاعرا وأديبا وقلده أبنائه وشعبه فانتشر العلم والأدب وتبارى العلماء في ميادين الشعر والبلاغة ونالوا كل عناية وتشجيع من طرف الخلفاء ونافس أدباء المغرب زملاءهم أدباء الأندلس لأول مرة في التاريخ⁵.

¹ - حسن علي حسن: المرجع السابق، ص 502.

² - ابن سعيد المغربي: المغرب في حلى المغرب، تحقيق شوقي ضيف، ج 1، ط 4، دار المعارف، (د ب)، 2009م، ص 111-112.

³ - ابن القاضي: المصدر السابق، ج 1، ص 138.

⁴ - جمال أحمد طه: المرجع السابق، ص 287.

⁵ - صالح بن قربة: عبد المؤمن بن علي مؤسس دولة الموحدين، (د ط)، المؤسسة الوطنية للكتاب، (د ب)، (د س)، ص 48.

ج- النشر:

كانت الخطابة هي أول أداة استعملها الموحدون في نشر الدعوة الموحدية، فمن خطب ابن تومرت تلك التي ألقاها في الموحدون فقاموا بعد سماعها بمبايعته، وكان على رأس المبايعين عبد المؤمن بن علي. والظاهر أن الكتابة النثرية كانت في عصرها الذهبي في عهد عبد المؤمن بن علي، فقد جمع المستشرق الفرنسي "ليفي بروفنصال" رسائل الموحدون التي بلغت سبع وثلاثين رسالة من بينها ثلاث وعشرين كتبت في حياة عبد المؤمن بن علي ومن أشهر كتابه نذكر: أبو حفص بن عطية وأخوه عقيل بن عطية، وأبو الحسن بن عياش وأبو الحكم المرضي، وأبو القاسم القالمي¹.

ومن الكتابات التي ظهرت في هذا العصر، الرسائل الاخوانية ومن ذلك رسالة الفقيه القاضي عيسى بن عمران التسولي(ت:578هـ/1182م)². كما ظهرت أيضا رسائل التوقيعات، ومنها توقيع عبد المؤمن بن علي على قصيدة الكاتب أبي جعفر بن عطية الذي أرسل قصيدة وهو في السجن يستعطف بها الخليفة لعله يحظى بعفوه ومطلعها:

عظفا علينا أمير المؤمنين بأن العزاء لفرط البث والحزن

فلم يستجب له الخليفة عبد المؤمن ووقع على القصيدة بالآية الكريمة: "الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين"³

كما ظهر فن المقالة في العصر الموحيدي، حيث برز أبو عبد الله محمد بن محرز الوهراني حيث برع في فن الرسائل والإنشاء، حيث نقد في مقالته المجتمع المغربي في شخص طائفة العلماء والأدباء ورجال الحكم⁴.

¹ - صالح بن قرية: المرجع السابق، ص ص49-50.

² - ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص268.

³ - صالح بن قرية: المرجع السابق، ص50.

⁴ - جمال محمد طه: المرجع السابق، ص288.

كما ظهر أيضا من فنون النثر المناظرات وكان أول مناظر في الموحدين زعيمهم المهدي بن تومرت الذي ناظر علماء المرابطين وتغلب عليهم في مجلس الأمير علي بن يوسف. ثم تطور هذا الفن في عهد عبد المؤمن بن علي الذي كان عصر جدال طويل بين الموحدين وبين المالكيين¹.

د - الشعر:

لعل أول ما يمكن الكلام عنه في هذا الجانب هو إسهام الخلفاء الموحدين في النشاط اللغوي والأدبي باستضافتهم للعلماء والأدباء والشعراء في قصورهم وتكريمهم²، فعبد المؤمن بن علي كان مؤثرا لأهل العلم محبا لهم، محسنا إليهم، يستدعيهم من البلاد ويجري عليهم الأرزاق الواسعة، ويظهر التنويه بهم والإعظام لهم³.

كان عبد المؤمن حريصا على الاجتماع بالشعراء والأدباء في كل مناسبة واحتفال، فكان يجلس إلى الشعراء من أندلسيين ومغاربة ومشاركة ويحسن الإستماع إليهم ويُسر من ثنائهم عليه وينتقد هذا ويقرط ذاك ويفيض على الجميع بعطائه⁴، ومثال ذلك حين نزل جبل الفتح (طارق) حيث استدعى كبار الشعراء إحتفالا ببيعة أهل الأندلس له⁵.

ومن عطايا عبد المؤمن للشعراء أنه وهب ألف دينار للشاعر أبا عبد الله محمد بن أبي العباس التيفاشي⁶ على بيت واحد أنشده إياه.

ماهرٌ عطفه بين البيض والأسل مثل الخليفة عبد المؤمن بن علي⁷

¹ - صالح بن قربة: المرجع السابق، ص 50.

² - فائق كوكبة: المرجع السابق، ص 80.

³ - عبد الواحد المراكشي: المعجب، المصدر السابق، ص 293.

⁴ - عبد الله كنون: ذكريات مشاهير رجال المغرب، المرجع السابق، ج 2، ص ص 110 - 111.

⁵ - خليل إبراهيم السامرائي وآخرون: تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، ط 1، دار الكتاب الجديدة، بيروت، 2000م، ص ص 302-303.

⁶ - العماد الأصفهاني: خريدة القصر وجريدة العصر، تحقيق محمد المرزوقي وآخرون، ج 1، ط 3، الدار التونسية للنشر، تونس، 1986م، ص 128.

⁷ - ابن خليكان: المصدر السابق، مج 3، ص 239.

نظم الخليفة عبد المؤمن شعرا وجهه إلى أعراب بني هلال ليستثيرهم ويحفزهم على القتال، ويشجعهم على الغزو في جزيرة الأندلس ومن أبياتها:

أقيموا إلى العلياء هوج الرواحل وقودوا إلى الهيجاء جرد الصواهل
وقوموا لنصر الدين قومة نائر وشدوا على الأعداء شدة صائل¹

وعلى نهج ابن تومرت وعبد المؤمن سار الخلفاء الموحدون في تشجيعهم للأدباء والشعراء، فالخليفة يعقوب بن يوسف المنصور الموحيدي ترك أثرا واضحا من هذا الجانب بمشاركته مجالس الشعر والأدب منذ حداثة سنه²، حيث إمتلك حسا شعريا جعله يناقش الشعراء ويقترح عليهم عروضاً، فكانت له بعض الآثار الأدبية مثل: وصية قصيرة، وبعض الأبيات الشعرية التي وجهها إلى الأعراب³.

أقام المنصور ندوة عظيمة بعد رجوعه من وقعة الأرك حيث ورد عليه الشعراء من كل قطر من مملكته فلم يكن لكثرتهم أن ينشد كل شاعر قصيدته بل كان يختص في إنشاد البيتين أو الثلاثة المختارة⁴.

كما كان الخليفة إدريس المأمون بن يعقوب المنصور عالما متمكن من الأدب واللغة والشعر، وكاتبا مقتدرا وله توقعيات حسنة⁵، كما كان أبو الربيع سليمان بن عبد الله بن عبد المؤمن كاتبا بليغا وشاعرا مجيدا⁶.

إن أثر الحكام في الجانب الأدبي بصفة عامة والشعر بصفة خاصة والذي تجلى في تشجيعهم للنشاط الثقافي ومشاركتهم فيه وإسهامهم مع أبناء رعيتهم أدى إلى ازدهار الحياة الثقافية والفكرية، ومن الشعراء الذين برزوا خلال هذا العصر نذكر منهم:

¹ - عبد الواحد المراكشي: المعجب، المصدر السابق، ص158.

² - محمد المنوني: المرجع السابق، ص96.

³ - حسن علي حسن: المرجع السابق، ص491.

⁴ - أحمد المقري: المصدر السابق، ص430.

⁵ - محمد عبد الله عنان: دولة الاسلام في الأندلس عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، العصر الثالث، ط2، مكتبة الخانجي بالقاهرة، مصر، 1990م، ص646.

⁶ - عبد الله كانون: ذكريات مشاهير رجال المغرب، المرجع السابق، ج2، ص168.

-أبو عبد الله محمد بن حبوس(ت:570هـ/1174م) يعتبر أول شاعر لازم عبد المؤمن ونال حظوته ورضاه حتى أطلق عليه لقب شاعر الخلافة المهدوية وأمر عبد المؤمن بأن يتصدر ابن حبوس طائفة الشعراء الذين اجتمعوا من أنحاء الأندلس والمغرب بجبل طارق لتهنئة عبد المؤمن بطل الإسلام ومنقذ المهدية من النصارى ومما قاله ابن حبوس في مدح عبد المؤمن، وهو بمدينة الفتح:

ألا أيها البحر جاورك البحر وخيم في أرجائك النفع والنصر
وحاش على أمواجك الحلم والحبا فاض على أعطافك النهي والأمر¹

-أبو العباس الجراوي²(ت:609هـ/1212م) فخر الدولة الموحدية وأكبر شعرائها ويعتبر من أعظم شعراء المغرب على الإطلاق، عمّر طويلا فشهد عصر عبد المؤمن وابنه يوسف ويعقوب المنصور ومحمد الناصر ولذلك لقب بشاعر الخلافة الموحدية، وأشاد به عبد المؤمن فقال له: "يا أبا العباس أنا أباهي بك شعراء الأندلس" ومن شعر الجراوي في مدح عبد المؤمن هذه الأبيات:

أعليت دين الواحد القهار بالمشرفة والقنا الخطار
ورأى به الإسلام قرة عينه وغدت بك الغراء دار قرار
وملكت من طرف الهداية لاحقا طوبى لمن يمشي على الآثار³

-أبو حفص عمر السلمي الأغماتي(ت:603هـ/1206م) كان في غاية التألق له في مدح يوسف بن عبد المؤمن إذ يقول:

ألا هكذا تبنى العلا والمآثر وتسمو إلى الأمر الكبير الأكابر⁴.

¹ - حسن الجلاب : الدولة الموحدية أثر العقيدة في الأدب، ط3، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش، 1995م، ص106.

² - هو أبو العباس أحمد بن عبد السلام الجراوي عاش بين 528 هـ و609هـ، بربري من قبيلة جراوة من أحد أفخاذها بني غفجوم، درس في مراكش وفاس والأندلس، وتلقى ثقافة عصره علوم القرآن والعلوم الدينية واللغوية. للمزيد ينظر: المرجع نفسه، ص120.

³ - صالح بن قرية: المرجع السابق، ص54.

⁴ - عبد الله كنون: ذكريات مشاهير رجال المغرب، المرجع السابق، ج2، ص831.

-ميمون بن خبازة(ت:637هـ/1240م) وهو من الشعراء الذين اتجهوا نحو مدح الرسول صلى الله عليه وسلم، فله قصيدة تتكون من مائة وخمسين بيتا في مدحه صلى الله عليه وسلم يقول فيها:

حقيق علينا أن نجيب المعاليا لنفنى في مدح الحبيب المعاليا
ونجمع أشتات الأعاريض حسبه ونحشر في ذات الإله القوافيا
لتطلع من أمداح أحمد أنجما تلوح متجلوا من سناء الدياجيا¹

-أبو بكر يحيى بن عبد الجليل بن عبد الرحمن بن مجبر(ت:588هـ/1192م) ما يلاحظ على ديوانه أن أكثر مدائحه كانت في الأمير يعقوب، فمن ذلك قوله:
أتراه يترك الغزلا وعليه شبّ واكتهلا
كف بالغيد ما عقلت نفسه السلوان مذ عقلا²

هـ- علم التاريخ والتراجم

ازدهرت حركة التأليف التاريخي في عصر الموحدين، بظهور طائفة من المؤرخين المغاربة الذين ألفوا في علم التاريخ بمختلف فنونه في السير والتراجم والأنساب وتاريخ الملوك والبلدان. وسنتطرق إليها في مذكرتنا هذه مجملة فمن هؤلاء المؤرخين نذكر:

-أبو الخطاب عمر بن حسن بن دحية الكلبي المعروف ببن جميل(ت:633هـ/1236م) له كتاب التنوير في مولد السراج المنير وله كتاب النبراس في أخبار خلفاء بني العباس³. وعبد الواحد بن علي التميمي المراكشي محيي الدين⁴ الذي ألفا كتبا منها المعجم في أخبار المغرب⁵.

¹ - عبد الله كنون: ذكريات مشاهير رجال المغرب، المرجع السابق، ص 906.

² - ابن خلكان: المصدر السابق، ج 7، ص 13.

³ - محمد المنوني: المرجع السابق، ص 48.

⁴ - خير الدين الزركلي: الأعلام، ج 4، ط 15، دار العلم للملايين، بيروت، 2002م، ص 176.

⁵ - حسن علي حسن: المرجع السابق، ص 504.

-عبد الملك بن محمد بن إبراهيم المعروف بابن صاحب الصلاة مؤرخ من كتاب الأندلس من أهل باجة حيث خدم الموحدين وله كتاب المن بالإمامة على المستضعفين بأن حفظهم الله أئمة وجعلهم الوارثين، وله ثورة الموردين وتاريخ الموحدين¹. وأبو القاسم خلف بن عبد الملك بن سعود بن بشكوال(587هـ/1183م)² الذي ترك تراثا علميا جليلا ومن مؤلفاته الصلة و معجم الشيوخ³.

-أبو محمد عبد الله بن علي بن عبد الله اللخمي الرشاطي(524هـ/1120م)⁴ عالما بالأنساب والحديث ومن مؤلفاته كتاب اقتباس الأنوار والتماس الأزهار في أنساب رواة الآثار⁵. وأبو بكر بن علي الصنهاجي المكنى بالبيدق وله كتاب تاريخ الموحدين وهو عبارة عن مذكرات شاهد عيان كتبها عن قيام الموحدين⁶.

-علي بن محمد بن عبد الملك أبو الحسن بن القطان (ت:628هـ/1230م-1231م)⁷ وله كتاب نظم الجمان الذي يشتمل على تاريخ ابتداء الموحدين⁸. وأبو العباس بن فرتون(ت660هـ/1262م) الذي ألف كتاب تحت عنوان ذيل الصلة بالشكوالية⁹.

¹ - عبد الفتاح عايش: معجم الأدباء من العصر الجاهلي حتى سنة 2002، ج4، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003م، ص142.

² - يسرى عبد الغني عبد الله: معجم المؤرخين المسلمين حتى القرن الثاني عشر الهجري، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1991م، ص142.

³ - قاسم علي السعيد: الحافظ المؤرخ أبو القاسم بن بشكوال شخصيته ومؤلفاته، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، المجلد 16، العدد28، شوال 1424هـ، ص230.

⁴ - أبو القاسم الزباني: الترجمانة الكبرى في أخبار المعمورة برا وبحرا، تحقيق عبد الكريم الفيلاي، ط2، دار نشر المعرفة، الرباط، 1991م، ص53.

⁵ - شمس الدين الذهبي : المصدر السابق، ج20، ص ص258-259.

⁶ - محمد المنوني: المرجع السابق، ص61.

⁷ - بن عبد الملك: المصدر السابق، ج8، ص165.

⁸ - محمد المنوني: المرجع السابق، ص61.

⁹ - بن القاضي: المصدر السابق، ج1، ص ص117-118.

ثانيا - العلوم العقلية وأعلامها

1- علم الجغرافيا والفلك

حظي علم الجغرافيا والفلك باهتمام من طرف خلفاء الموحدين الذين كان لهم ذوق جغرافي خاص ظهر في كثير من ملاحظاتهم ومخاطباتهم ومجالسهم¹، كما برز علم التنجيم الذي يعتبر بن تومرت من أئمة هذا العلم في عصره فقد اختار تلميذه عبد المؤمن بن علي واصطفاه من بين تلاميذه ليكون خليفته طبقا لنتائج علم التنجيم². كما شجع حكام الموحدين على الرحلات الجغرافية فكانت فترتهم فترة اكتشافات وابتكارات جغرافية، فقد برز رحلة مغاربة كبار نذكر منهم: -أبو عبد الله محمد الإدريسي (ت: 562 هـ / 1160م) حيث ألف كتابه المشهور "نزهة المشتاق في اختيار الآفاق"³، حيث ألفه بعد أن قام برحلة جاب فيها الأندلس ومصر وإفريقية والمغرب وبعض البلاد الأوروبية والآسيوية⁴ ومن إنجازاته أيضا: الخريطة الحائطية للعالم وخريطته على المائدة الفضية التي كلفه الملك الصقلي روجير الثاني بصنعها كما أنه بيّن ولأول مرة منابع النيل⁵.

كما حظي علم الفلك بتشجيع الخلفاء الموحدين فالخليفة أبو يعقوب المنصور جمع الكتب من الأندلس الخاصة بعلم أحكام النجوم، وعمل أبو يوسف يعقوب على نشر كتب النجوم في سائر بلاده وعمل بمقتضاها⁶، وبرز في هذا العلم: -البترجي المراكشي الذي وضع رسالة عن الأجرام السماوية ترجمها الأوروبيون وطبعوها⁷.

¹ - محمد المنوني: المرجع السابق، ص 73.

² - صالح بن قرية: المرجع السابق، ص 60.

³ - حسن علي حسن: المرجع السابق، ص 504.

⁴ - عبد الله كانون: ذكريات مشاهير رجال المغرب، المرجع السابق، ج1، ص 143.

⁵ - محمد المنوني: المرجع السابق، ص 57.

⁶ - جمال أحمد طه: المرجع السابق، ص 301.

⁷ - صالح بن قرية: المرجع السابق، ص 63.

2- علم الفلسفة: ازدهرت الفلسفة في عصر الموحدين خاصة في عهد الخليفة يوسف بن عبد المؤمن الذي اشتهر بلاطه بكبار الفلاسفة والذي سمت نفسه إلى دراسة الفلسفة وعلومها كما أخذ بجمع الكتب من مختلف الأقطار¹، ومن العلماء الذين اشتهر بهم البلاط الموحد:

-أبو بكر محمد بن طفيل(ت:581هـ/1185-1186م)² كان متحققا بجميع أجزاء الفلسفة، فكانت له تصانيف في أنواع الفلسفة من الطبيعيات والآلهيات، فمن رسائل الطبيعيات رسالة "حي بن يقظان"³ ومن تصانيف الآلهيات رسالة في النفس⁴. وأبو الوليد بن رشد(ت:595هـ/1198م)⁵ ولي القضاء بإشبيلية سنة 565هـ ثم ولي القضاء بقرطبة عام (567هـ/1171م) ثم طبيا خاصا للخليفة يوسف سنة (578هـ/1182)⁶ ورغم هذه الأعباء فقد صنف أهم كتبه حيث قام بترجمة كتب أرسطو، ويقول المؤرخ الفرنسي أرنت رينان (1823-1892 م): "لولا ابن رشد لما فهمت فلسفة أرسطو"⁷.

-ومن الفلاسفة المغاربة أيضا أبو الحسن علي بن خليل المسفر السبتي وله تأليف "معراج العابدين" و"المصون الصغير"⁸

3-علم الرياضيات

لقيت العلوم الرياضية مزيدا من الاهتمام في عهد الخليفة عبد المؤمن بن علي، خاصة لما أصدر أوامره بمسح جميع الأراضي من برقة شرقا إلى المغرب الأقصى غربا لتسهيل فرض

¹ - حسن علي حسن: المرجع السابق، ص 63.

² - هوأبو بكر محمد بن عبد الله بن طفيل القيسي من قبيلة قيس فيلسوف عربي وكان يسمى أيضا الأندلسي والقرطبي أو الإشبيلي. للمزيد ينظر: موجز دائرة المعارف الإسلامية: الآثار العلوية، ج 1، ط 1، مركز الشارقة للإبداع والفكر، الشارقة، 1998م، ص 239.

³ - نفسه، ص 240.

⁴ - محمد المنوني: المرجع السابق، ص 70.

⁵ - هو أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن رشد ولد بقرطبة سنة 520هـ وكان جده قاضي قرطبة كما كان أبوه قاضيا ودرس ابن رشد في مسقط رأسه الفقه والطب. للمزيد ينظر: أرنت رينان: ابن رشد والرشدية، ترجمة عادل زعيتير، (دط)، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1957م، ص 23-99.

⁶ - دائرة المعارف الإسلامية: المرجع السابق، ص 178.

⁷ - محمد المنوني: المرجع السابق، ص 71.

⁸ - إبراهيم حركات: المرجع السابق، ج 1، ص 363-364.

الضرائب على هذه الأقاليم¹. لذا اهتم بعلم الهندسة باعتباره الأساس الذي قامت عليه المنشآت المعمارية، وكان من أشهر المهندسين في هذا العهد:

-الحاج يعيش المالقي والمهندس بن جاسة اللذان أشرفا على بناء قاعدة جبل طارق ويذكر مؤلف الحل الموشية بأن الحاج يعيش هو الذي بنى المقصورة المتحركة التي يصلي فيها الخليفة والتي تتسع لألف شخص².

كما اهتم الموحدون بالحساب فكان مادة دراسية، ومن أساتذة الحساب أبو الحسن علي بن محمد بن فرحون القيسي القرطبي(ت:601هـ/1204م)³صاحب كتاب "اللباب في مسائل الحساب"⁴. و برز في علم الجبر العالم -أبو محمد عبد الله بن عمر بن حجاج المعروف بابن الياسمين(ت:601هـ/1204م) وهو من أهل فاس ومن مؤلفاته "أرجوزة" الجبر⁵.

4-علم الطب

اعتنى الموحدون وبخاصة الخليفة عبد المؤمن بن علي وابنه يعقوب اعتناء كبيرا بالطب والأطباء، فبنوا المستشفيات ونظموا هذه المهنة وجعلوا هذا العلم ضمن البرنامج الدراسي، وكان ليوسف الموحي طموح إلى هذا العلم بحفظه الكثير من النصوص الطبية⁶. ومن الأطباء الذين اشتهروا في هذا العصر: أبو الحجاج يوسف المريبطري (ت:619هـ/1222م) الذي كان فاضلا في صناعة الطب خبيرا بها⁷.

¹ - صالح بن قرية: المرجع السابق، ص 65.

² - مؤلف مجهول: الحل، المصدر السابق، ص144.

³ - هو علي بن محمد بن فرحون من أهل قرطبة نزل فاس ودرس بها الحساب والفرائض ثم رحل إلى المشرق وتوفي هناك سنة 601هـ. للمزيد ينظر: بن القاضي: المصدر السابق، ج2، ص483.

⁴ - نفسه، ج2، ص483.

⁵ - حسن علي حسن: المرجع السابق، ص506.

⁶ - محمد المنوني: المرجع السابق، ص88.

⁷ - ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، نقل وتصحيح، امرؤ القيس بن الطمعان، ج2، ط1، المطبعة الوهبية، 1883م، ص78.

والطبيب السبتي أبو الحسن علي بن يقظان، وأبو بكر يحيى بن محمد بن عبد الرحمن السلمي المتوفي سنة (563هـ/1167م)، حيث اشتغل بالطب وظهر فيه¹.

- يحيى بن محمد بن بقي السلوي المتوفي (563هـ/1167م). وكذلك السعيد الغماري، ويوسف بن سمغون الفاسي المتوفي سنة (623هـ/1226م) ومن كتبه: "إصلاح هيئة ابن أفلح" و"شرح الفصول لإبقراط" و"ترتيب الأغذية اللطيفة والكثيفة"². وأبو إسحاق إبراهيم بن علي بن محمد السلمي المغربي قتله التتار سنة (617هـ/1220م) الذي أخذ عن فخر الدين الرازي، وألف كتباً كثيرة في الطب والحكمة منها: شرح الكليات بأسرها من كتاب القانون لابن سينا³.

¹ - محمد المنوني: المرجع السابق، ص 88.

² - إبراهيم حركات: المرجع السابق، ج 1، ص 361.

³ - محمد المنوني: المرجع السابق، ص 89.

الختامة

من خلال دراستنا لواقع التعليم ببلاد المغرب خلال العهد الموحيدي، الذي حاولنا فيه أن نلّم بجميع الجوانب التعليمية من مؤسسات ومناهج وطرق وعلوم من خلال المصادر والمراجع العربية والأجنبية ومن خلال الدراسات السابقة فقد توصلنا إلى استخلاص عدد من النتائج التي تم حصرها فيما يلي:

- كان لقيام دولة الموحدين الأثر الكبير في إعطاء الحركة العلمية بالمغرب دفعة قوية، فقد قامت هذه الدولة على أساس من العلم، فكانت دعوة المهدي بن تومرت أثرا بارزا في تطور الحركة العلمية هذه الدعوة التي كانت على أساس دعوة دينية كان هدفها إصلاح أوضاع المجتمع بأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر.

- كان خلفاء الدولة الموحدية بداية من صاحب دعوتها ابن تومرت إلى آخر خليفة علماء، فكانوا فقهاء ومحدثين ومفسرين وفلاسفة وأطباء، فكان أثرهم جليا في الحركة التعليمية فلم يذخروا أي جهد من أجل النهوض بالحركة العلمية قدما، فراحوا يشيدون المؤسسات التعليمية بمختلف أنواعها من مساجد وكتاتيب ومدارس ورباطات، حيث شهدت انتشارا واسعا في كامل ربوع بلاد المغرب عموما والمغرب الأقصى خصوصا لتواجد عاصمة الموحدين به.

- كما شهدت الحركة العلمية خلال هاته الفترة تطورا في الدراسة وفي المناهج العلمية، كانت بدايتها باستغلال كتب المهدي بن تومرت لاسيما المتعلقة بالعقيدة كالمرشدة والتوحيد مستعملا اللغتين العربية والبربرية، فألزم أتباعه بإتباعها.

- كما تميز التعليم بالحرية في التحصيل العلمي، فأصبح التلاميذ في مراحل متقدمة أحرارا في اختيار الأساتذة الذين يقرأون عليهم، كما سمح بدراسة الفلسفة وعلم الكلام على عكس ما كان عليه المرابطون الذين منعوا هذه العلوم وقاموا بإحراق كتاب الإحياء للإمام الغزالي.

- شهدت هذه الفترة بروز فقهاء مالكية كبار رغم ما قام به خلفاء الموحدين من التضيق عليهم، لاسيما يعقوب المنصور، الذي قام بإحراق كتب الفروع وهو ما ذكره عبد الواحد المراكشي باعتباره شاهد عيان على هذه الأحداث.

- يعدّ عصر الموحدين عصرا ذهبيا بالنسبة للعلوم الدينية، فقد اعتنى فيه بالقرآن الكريم والتفسير والحديث والفقه والأصول وكثرت المؤلفات الدينية والفقهية المتخصصة والتي لا تقل شأنًا عن مثيلاتها بالمشرق والأندلس.

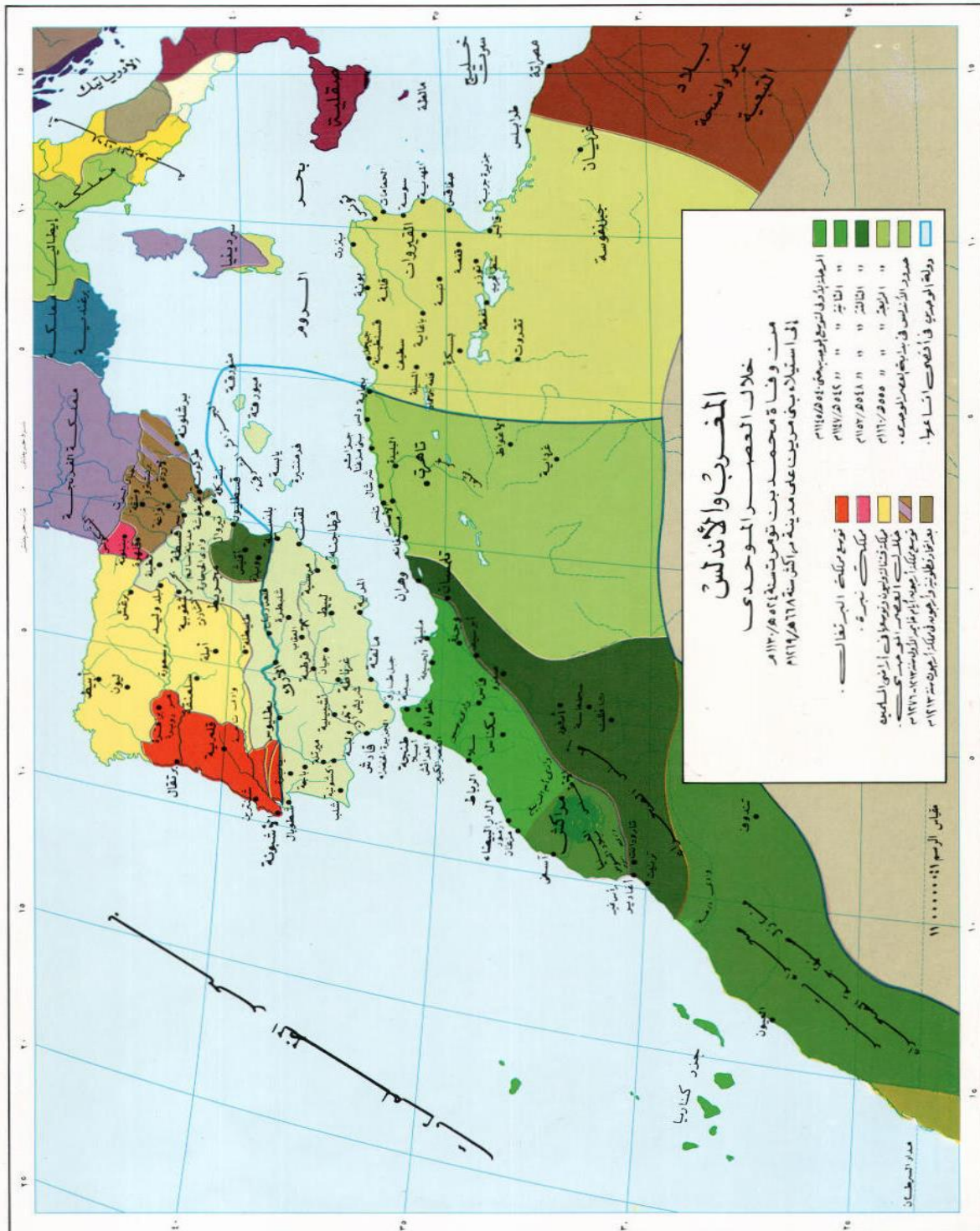
- سادت روح التجديد والأصالة في عصر الموحدين، وقد كان للمنهج الأصولي الذي اتبعه الموحدون أثره على فقهاء وعلماء المغرب الذين لعبوا دورا مهما في تأصيل الفقه والانتقال به من الدراسة التقليدية المعتمدة على الفروع ونقل الأقوال إلى الاستنباط والاعتماد على الحجج والبراهين في إصدار الأحكام.

الملاحق

الملحق رقم 01

المغرب والأندلس خلال العهد الموحيدي

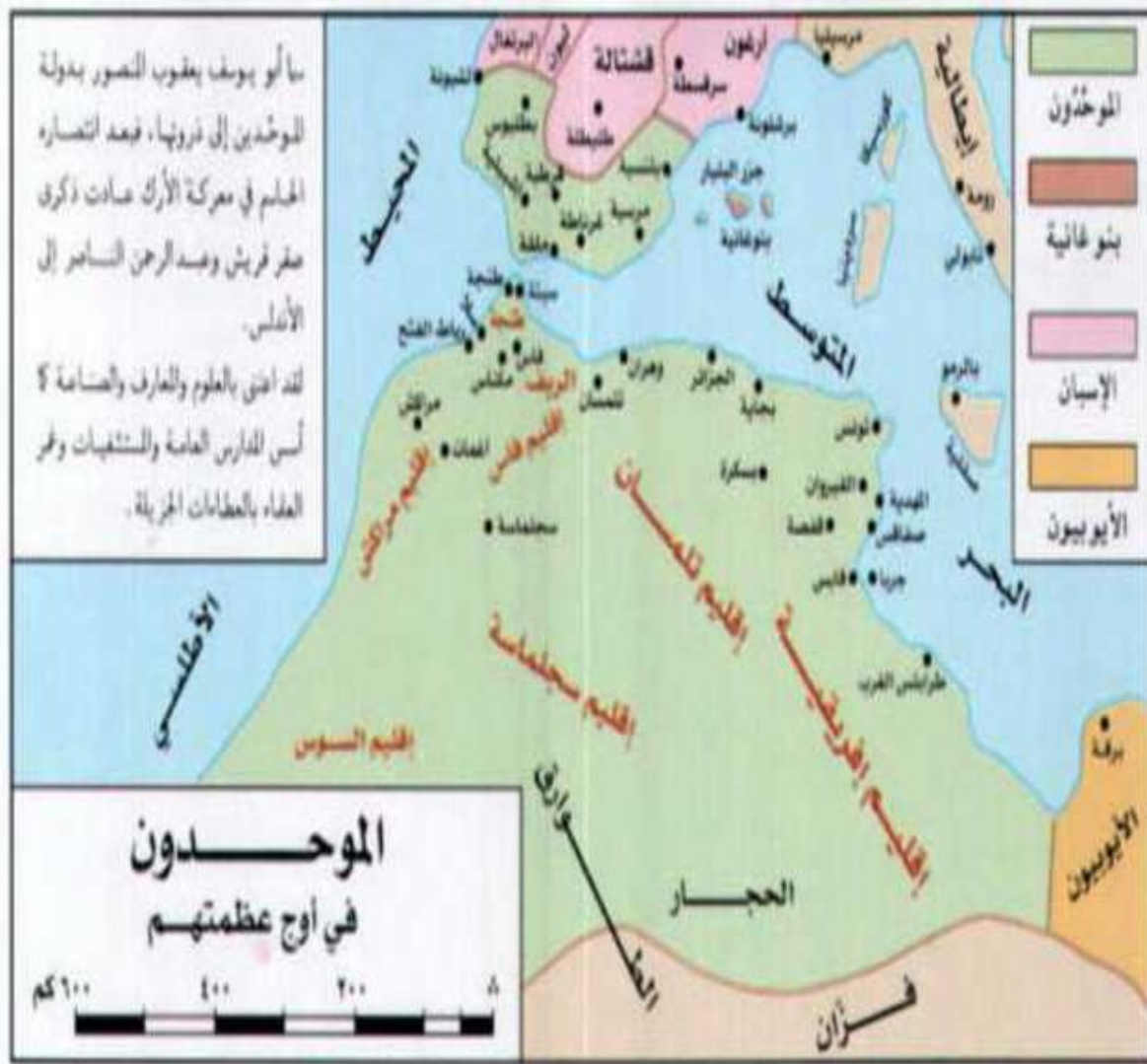
(١٢٦٩-١١٣٠هـ/١٦٦٨-١٥٢٤م)



1- مؤنس حسين: **أطلس تاريخ الإسلام**، ط1، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، 1987، ص166.

الملحق رقم 02

الموحدون في أوج عظمتهم (مرحلة العظمة والاستقرار)



2- شوقي أبو خليل: أطلس التاريخ العربي، ط5، دار الفكر، دمشق، 2002، ص79.

الملحق رقم 03
مسجد تينمل بمراكش



1- وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية: **مساجد مغربية عبر التاريخ**، العرض الأول، مؤسسة مسجد الحسن الثاني بالدار البيضاء، المغرب 2010، ص ص 40-41.

الملحق رقم 04
مسجد حسان بالرباط



1- وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية: المرجع السابق، ص 45.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع المعتمدة

القرآن الكريم

1- المصادر

- 01- ابن الآبار (أبو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي البلنسي) (ت: 658هـ/1260م): التكملة لكتاب الصلة، تحقيق بشار عواد معروف، ط1، دار الغرب الإسلامي، تونس، 2011م.
- 02- ابن الأثير (أبو الحسن بن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد الملقب عز الدين) (ت: 630هـ/1232م): الكامل في التاريخ، تحقيق محمد يوسف الدقاق، ط4، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003م.
- 03- ابن أبي أصيبعة (ت: 688هـ/1270م): عيون الأنباء في طبقات الأطباء، نقل وتصحيح، امرؤ القيس بن الطمعان، ج2، ط1، المطبعة الوهبية، 1883م.
- 04- الاصطخري (أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي) (كان حيا 393هـ/951م): المسالك والممالك، (دط)، دار صادر، بيروت، (د س).
- 05- ابن بطوطة (محمد بن عبد الله بن محمد اللواتي الطنجي) (ت: 703هـ/1368م): تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تحقيق علي المنتصر الكتاني، ط4، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1984م.
- 06- البيهقي (أبو بكر بن علي الصنهاجي) (ت: 555هـ/1160م): أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين، (د ط)، دار المنصورة للطباعة والوراقة، الرباط، (د س).
- 07- التادلي (أبو يعقوب يوسف بن يحيى بن الزياد) (ت: 628هـ/1230م): التشوف إلى رجال التصوف، (دط)، مطبوعات معهد الأبحاث العليا، الرباط، 1958م.
- 08- التجاني (أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد) (ت: 717هـ/1317م): رحلة التجاني، تقديم حسن حسني عبد الوهاب، (د ط)، الدار العربية للكتاب، ليبيا، 1981م.
- 09- التبتكتي (أبو العباس أحمد بابا بن أحمد الصنهاجي الماسي) (ت: 1036هـ/1627م): نيل الابتهاج بتطريز الديباج، تقديم عبد الحميد عبد الله الهرامة، ط2، منشورات دار الكاتب طرابلس، ليبيا، 2000م.
- 10- التهانوي (محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمد صابر الفاروقي الحنفي) (كان حيا سنة 1158 هـ/1689م): كشف اصلاحات الفنون والعلوم، تحقيق علي دحدوح، ط1، مكتبة لبنان، بيروت، 1996م.
- 11- بن تومرت المهدي (أبو عبد الله محمد بن عبد الله المرغي السوسي) (ت: 524هـ/1130م): أعز ما يطلب، تقديم وتحقيق عبد الغني أبو العزم، (د ط)، مؤسسة الغني للنشر، الرباط، (د س).
- 12- الجزنائي (أبو الحسن علي الفاسي) (كان حيا سنة 766هـ/1365م): جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس، تحقيق عبد الوهاب بن المنصور، ط2، المطبعة الملكية، الرباط، 1991م.

- 13- بن حزم (أبو محمد علي بن أحمد الفاسي القرطبي)(ت:456هـ/1064م):الفصل في الملل والأهواء والنحل، تحقيق محمد إبراهيم نصر وعبد الرحمن عميرة، (د ط)، دار الجيل بيروت، (د س).
- 14- الحميري (أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم الصنهاجي السبتي)(ت:727هـ/1327م): الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، ط2، مكتبة لبنان، لبنان، 1984م.
- 15- الحموي (أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي الحضرمي)(ت:626هـ/1228م): معجم البلدان، ط2، دار صار، بيروت، 1993.
- 16- ابن حوقل(أبو القاسم محمد بن علي الموصلي النصيبي)(ت:367هـ/977م): صورة الأرض، (د ط)، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1979م.
- 17- ابن الخطيب (أبو عبد الله محمد بن عبد الله الغرناطي)(ت:766هـ/1378م): الإحاطة في أخبار غرناطة، تعليق وتقديم بوزياني الدراجي، ط1، دار الأمل للدراسات، الجزائر، (د س).
- 18- ابن خلدون (أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الحضرمي)(ت:808هـ/1405م): العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق خليل شحادة، ط2، دار الفكر، بيروت، 1988م.
- 19- _____ : المقدمة، تحقيق وتعليق عبد السلام الشداوي، ط1، مطبعة خزانة ابن خلدون، الدار البيضاء، المغرب، 2005م.
- 20- ابن خلكان (أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر)(ت:618هـ/1282م): وفيات الأعيان وأنباء الزمان، تحقيق إحسان عباس، (د ط)، دار صادر، بيروت، (د س).
- 21- الدمشقي (بن الهادي أبو عبد الله محمد)(ت:744هـ/1343م): طبقات علماء الحديث، تحقيق أكرم البوشي وإبراهيم الزبيق، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1996م.
- 22- ابن أبي دينار (محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني)(ت:1109هـ/1698م): المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، ط3، دار المسيرة، بيروت، 1993م.
- 23- الذهبي (أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان التركماني الدمشقي)(ت:748هـ/1347م): سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرنؤوط، ط3، مؤسسة الرسالة، بيروت، (د س).
- 24- ابن الزبير (أبو جعفر أحمد بن إبراهيم الثقفي الجياني)(ت:708هـ/1308م): صلة الصلة، تحقيق ليفي بروفنسال، ط2، معهد العلوم العليا المغربية، الرباط، 1973م.
- 25- ابن أبي زرع (أبو الحسن علي بن عبد الله الفاسي)(كان حيا سنة726هـ/1326م): الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، (د ط)، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972م.
- 26- الزركشي (أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن الولؤ(كان حيا سنة894هـ/1489م): تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تحقيق محمد مازود، ط2، المكتبة العتيقة، تونس، 2002م.

- 27- الزباني (أبو القاسم بن أحمد بن علي بن إبراهيم)(ت:1249هـ/1833م): الترجمانة الكبرى في أخبار المعمورة برا وبحرا، تحقيق عبد الكريم الفيلاي، ط2، دار نشر المعرفة، الرباط، 1991م.
- 28- ابن سعيد المغربي (أبو الحسن علي بن موسى المذحجي الغرناطي)(ت:685هـ/1286م): المغرب في حلّى المغرب، تحقيق شوقي ضيف، ط4، دار المعارف، (د ب)، 2009.
- 29- السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن)(ت:911هـ/1505م): بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، (د ط)، دار الفكر، بيروت، 1979.
- 30- ————— : طبقات الحفاظ، راجعه مجموعة من العلماء، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1983م.
- 31- الشهرستاني (محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد)(ت:548هـ/1152م): الملل والنحل، تحقيق محمد سيد كيلاني، (د ط)، دار المعرفة، بيروت، 1404هـ.
- 32- ابن صاحب الصلاة (أبو مروان عبد الملك بن محمد الباجي)(كان حيا سنة594هـ/1198م): تاريخ المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين، تحقيق عبد الهادي التازي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1964م.
- 33- ابن عبد الملك (أبو عبد الله محمد بن محمد المراكشي)(ت:703هـ/1303م): الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تحقيق محمد بن شريفة، السفر الثامن، (د ط)، أكاديمية المملكة المغربية، المغرب، 1984م.
- 34- ابن عذارى المراكشي(أبو العباس أحمد بن محمد المراكشي)(كان حيا سنة712هـ/1312م): البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ج س كولان وليفي بروفنسال، ج1، (د ط)، دار الثقافة بيروت، لبنان، 1983م.
- 35- العماد الأصفهاني (أبو عبد الله محمد بن محمد)(ت:597هـ/1201م): خريدة القصر وجريدة العصر، تحقيق محمد المرزوقي وآخرون، ط3، الدار التونسية لنشر، تونس، 1986م.
- 36- الغبريني (أبو العباس أحمد بن أحمد)(ت:704هـ/1305م): عنوان الدراية في من عرف من العلماء في المئة السابعة ببجاية، تحقيق عادل نويهض، ط2، دار الافاق الجديدة، بيروت، 1979م.
- 37- ابن فرحون (إبراهيم بن نور الدين بن علي اليعمرى المدني أبو الوفا)(ت:799هـ/1397م): الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، (د ط)، مطبعة المدينة، (د ب)، 1972م.
- 38- القاضي عياض (أبو الفضل عياض بن موسى اليعصبي)(ت:544هـ/1149م): ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تحقيق محمد بن شريفة، (د ط)، مطبعة فضالة المحمدية، المغرب، (د س).
- 39- ابن القاضي (أبو العباس أحمد بن محمد المكناسي)(ت:1025هـ/1616م): جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام بمدينة فاس، (د ط)، دار المنصور للطباعة، الرباط، 1973م.

- 40- ابن القطان (أبو محمد حسن بن علي الكتامي) (كان حيا سنة 650هـ/1252م): نظم الجمان لترتيب ماسلف من أخبار الزمان، تحقيق محمد علي مكي، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990م.
- 41- ابن قنفذ (أبو العباس أحمد بن حسن بن علي بن الخطيب القسنطيني) (ت: 810هـ/1407م): انس الفقير وعز الحقيير، صححه محمد الفاسي وأدولف فور، (د ط)، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط، 1965م.
- 42- ————— : الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تحقيق محمد الشاذلي النيفر وعبد المجيد التركي، الدار التونسية للنشر، تونس، 1968.
- 43- مجموع رسائل موحدية، من إنشاء كتاب الدولة المؤمنية، اعتنى بإصداره ليفي بروفانسال، (د ط)، المطبعة الاقتصادية، الرباط، 1941م.
- 44- ابن كثير (أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي) (ت: 774هـ/1373م): البداية والنهاية، تحقيق عبد الله التركي، ط1، دار الهجر، مصر، 1998م.
- 45- مؤلف مجهول (كان حيا سنة 783هـ/1381م): الحل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق سهيل زكار وعبد القادر زمامه، ط1، دار الرشد الحديثة، الدار البيضاء، 1979م.
- 46- مؤلف مجهول (كان حيا سنة 587هـ/1191م): الاستبصار في عجائب الأمصار، تعريب سعد زغلول، ط2، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1986م.
- 47- مؤلف مجهول (كان حيا سنة 712هـ/1312م): مفاخر البربر، تحقيق عبد القادر بوباية، (د ط)، دار أبي رقرق للطباعة والنشر، الرباط، 2005م.
- 48- المراكشي (عبد الواحد بن علي التميمي المراكشي محي الدين) (ت: 647هـ/1249م): المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق محمد زينهم محمد عزب، (د ط)، دار الفرجاني للنشر والتوزيع، القاهرة، 1994م.
- 49- ————— : وثائق المرابطين والموحدين، تحقيق حسين مؤنس، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، 1977م.
- 50- ابن مريم (أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد الملقب بابن مريم الشريف المليتي المديوني) (ت: 1014هـ/1579م): البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، (د ط)، المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1908م.
- 51- المغراوي (أحمد بن أبي جمعة) (ت: 920هـ/1514م): جامع جوامع الاختصار والتبيان فيم يعرض للمعلمين وآباء الصبيان، تحقيق وتعليق أحمد جلول البدوي ورايح بونار، (د ط)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، (د س).
- 52- المقرئ (أبو العباس شهاب الدين أحمد بن محمد القرشي المقرئ التلمساني) (ت: 1041هـ/1632م): نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1995م.

- 53- الوزان (أبو علي الحسن بن محمد الفاسي) (ت: 957هـ/1550م): وصف إفريقيا، ط2، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983م.
- 54- الونشريسي (أبو العباس أحمد بن يحي التلمساني) (ت: 914هـ/1508م): المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب، أخرجه محيي حجي وآخرون، (د ط)، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، 1981م.
- 02-المراجع العربية**
- 01- الأسعد عبد الكريم محمد: الوسيط في تاريخ النحو العربي، ط1، دار الشواف للنشر والتوزيع، الرياض، 1992م.
- 02- أسكان الحسين: تاريخ التعليم بالمغرب خلال العصر الوسيط، (د ط)، منشورات المعهد الملكي، الرباط، 2004م.
- 03- أطلس محمد أسعد: التربية والتعليم في الإسلام، (د ط)، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، 2012م.
- 04- بنعبد الله عبد العزيز: تاريخ المغرب العصر القديم والعصر الوسيط، (د ط)، مكتبة السلام ومكتبة المعارف، المغرب، (د س).
- 05- توات الطاهر محمد: أدب الرسائل في المغرب العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1993م.
- 06- الثمالي حماد بن محمد: حواشي المفصل من كلام الأستاذ أبي علي الشلوبين، (د ط)، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1986م.
- 07- الجلاب حسن: الدولة الموحدية أثر العقيدة في الأدب، ط3، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش، 1995م.
- 08- الجيلالي عبد الرحمان: تاريخ الجزائر العام، (د ط)، دار الأمة، الجزائر، 2010م.
- 09- حاجيات عبد الحميد: الجزائر في التاريخ، (د ط)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م.
- 10- حركات إبراهيم: المغرب عبر التاريخ، (د ط)، دار الرشاد، الدار البيضاء، (د س).
- 11- حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ط1، دار الجيل، (د ب)، 1996م.
- 12- حسن علي حسن: الحضارة الإسلامية في المغرب والاندلس عصر المرابطين والموحدين، (د ط)، مكتبة الخناجي، مصر، 1970م.
- 13- أبو خليل شوقي: أطلس التاريخ العربي، ط5، دار الفكر، دمشق، 2002م.
- 14- الداودي سيف الدين: طبقات المفسرين، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1982م.
- 15- ديب صفية: التربية والتعليم في المغرب والأندلس في عصر الموحدين، (د ط)، كنوز الحكمة، الجزائر، 2011م.

- 16- زبيب نجيب: الموسوعة العامة لتاريخ المغرب والأندلس، تقديم أحمد بن سودة، (دط)، دار الأمير للثقافة والعلوم، بيروت، 1995م.
- 17- الزركلي خير الدين: الأعلام، ط15، دار العلم للملايين، بيروت، 2002م.
- 18- السائح محمد: الحضارة الإسلامية في المغرب، ط2، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، 1986م.
- 19- سالم عبد العزيز: تاريخ المغرب في العصر الوسيط، (د ط)، مؤسسة شباب الجامعة، (دب)، (دس).
- 20- السامرائي خليل إبراهيم وآخرون: تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، ط1، دار الكتاب الجديدة، بيروت، 2000م.
- 21- السملالي العباس بن إبراهيم: الإعلام بمن حلّ مراكش وأغمات من الأعلام، راجعه عبد الوهاب بن منصور، ط2، المطبعة الملكية، الرباط، 2002م.
- 22- السيد كمال أبو مصطفى: محاضرات في تاريخ المغرب والأندلس، (د ط)، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، 2006م.
- 23- شبانة محمد كمال: الدويلات الإسلامية في المغرب، ط1، دار العالم العربي، القاهرة، 2008م.
- 24- الشكعة مصطفى: المغرب والأندلس أفاق إسلامية حضارة إنسانية ومباحث أدبية، ط1، دار الكتاب المصري، القاهرة، 1987م.
- 25- شلبي أبو زيد: تاريخ الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامي، (د ط)، مكتبة وهبة، القاهرة، 2012م.
- 26- الشيال جمال الدين: أعلام الإسكندرية في العصر الإسلامي، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، 2001م.
- 27- عايش عبد الفتاح: معجم الأدباء من العصر الجاهلي حتى سنة 2002م، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003م.
- 28- عبد الرازق محمود إسماعيل: سوسيولوجيا الفكر الإسلامي طور الانهيار، ط4، سينا للنشر، القاهرة، 2000م.
- 29- عبد العزيز محمد عادل: التربية الإسلامية في المغرب، (د ط)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (دب)، 1987م.
- 30- ابن عبد الله عبد العزيز ، معطيات الحضارة المغربية، ط3، دار الكتب العربية، الرباط، 1963م.
- 31- ————— : معلمة القرآن والحديث بالمغرب الأقصى، (د ط)، إدارة الثقافة والنشر بالجامعة، السعودية، 1985م.
- 32- عبد الله يسرى عبد الغني: معجم المؤرخين المسلمين حتى القرن الثاني عشر الهجري، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1991م.
- 33- العبدى محمد الكانوني: جواهر الكمال في تراج الرجال، تحقيق علال ركوك، تقديم محمد بنشريفية، ط1، جمعية البحث والتوثيق والنشر، الرباط، 2004م.

- 34- عكاوي رحاب خضر: الموجز في تاريخ الطب عند العرب، (د ط)، دار المناهل، بيروت، (دس).
- 35- علام عبد الله على: الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن علي، ط1، دار المعارف مصر، 1971م.
- 36- عمر موسى عز الدين: تنظيمات الموحدين ونظمهم في المغرب، (د ط)، (د د ن)، بيروت، 1969م.
- 37- —————: دراسات في تاريخ المغرب الإسلامي، ط1، دار الشروق، القاهرة، 1983م.
- 38- عنان محمد عبد الله: دولة الاسلام في الأندلس عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، العصر الثالث، ط2، مكتبة الخانجي بالقاهرة، مصر، 1990م.
- 39- عيسى أحمد: تاريخ البما رستانات، ط2، دار التراث العربي، بيروت، 1981م.
- 40- عيسى محمد عبد الحميد: تاريخ التعليم في الأندلس، (د ط)، مطبوعات الغرب الإسلامي، (د ب)، (د س).
- 41- فركوس صالح: المختصر في تاريخ الجزائر من عهد الفينيقيين إلى خروج الفرنسيين (814 ق م - 1962م)، (د ط)، دار العلوم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002م.
- 42- فيلاي عبد العزيز: تلمسان في العهد الزياني، دراسة سياسية، عمرانية، اجتماعية، ثقافية، (د ط)، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002م.
- 43- بن قربة صالح: عبد المؤمن بن علي مؤسس دولة الموحدين، (د ط)، المؤسسة الوطنية للكتاب، (د ب)، (د س).
- 44- الكتاني أبو عبد الله محمد: سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس، تحقيق عبد الله الكامل الكتاني وآخرون، (د ط)، دار الثقافة، الدار البيضاء.
- 45- كنون عبد الله: ذكريات مشاهير رجال المغرب في العلم والأدب والسياسة، تقديم محمد بن عزوز، ط1، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2010م.
- 46- —————: النبوغ المغربي في الأدب العربي، ط2، منتدى التراث المغربي والأندلسي، لبنان، 1962م.
- 47- كوكة فاتن: التصنيف اللغوي والأدبي في عصري المرابطين والموحدين (670-484هـ)، (د ط)، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2012م.
- 48- لقبال موسى: المغرب الإسلامي، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.
- 49- أبو مصطفى كمال السيد: جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والعلمية في المغرب الإسلامي من خلال نوازل وفتاوي المعيار المعرب للونشريسي، (د ط)، مركز الاسكندرية للكتاب، الاسكندرية، 1996م.
- 50- المنوني محمد: العلوم الآداب والفنون على عهد الموحدين، ط2، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، 1977م.
- 51- مؤنس حسين: أطلس تاريخ الإسلام، ط1، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، 1987م.

52- الناصري أبو العباس أحمد بن خالد: الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري، (د ط)، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1997م.

53- النجار عبد المجيد : المهدي بن تومرت حياته وأرائه وثورته الفكرية والاجتماعية وأثره بالمغرب، ط1، دار الغرب الإسلامي، (د ب)، 1983م.

54- نويهض عادل: معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، ط2، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، لبنان، 1980م.

55- -: معجم المفسرين من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، ط3، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، 1988م.

03-المراجع المعربة

01-أشباح يوسف: تاريخ الأندلس في عصر المرابطين والموحدين، ترجمة محمد عبد الله عنان، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1996م.

02-بنين أحمد شوقي: تاريخ خزائن الكتب بالمغرب، ترجمة مصطفى طوبي، ط1، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش، 2003م.

03-رينان أرنست: ابن رشد والرشدية، ترجمة عادل زعيتير، (د ط)، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1957م.

04-روجيه لوتورنو: فاس في عصر بني مرين، ترجمة نقولا زباد، (د ط)، مؤسسة فرنكلين للطباعة والنشر، بيروت، 1967م.

05-يحي عثمان: مؤلفات بن عربي تاريخها وتصنيفها، ترجمة أحمد محمد الطيب، (د ط)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 2001م.

04-المراجع الأجنبية

01-Marcais (g): l'Afrique du nord française dans l'histoire, paris, 1973.

02 -Abdallah Laroui; les origines sociales et culturelles du nationalisme(1830-1912), édition F.Maspero, 1980.

03-De Beylie (L) :la kalaa des Bèni Hammad :une capitale de Barbère de L'Afrique du nord au; XI siècle ;Ernest Laroux éditeur ;paris ;1909.

05-الرسائل الجامعية

01- بلغيث محمد الأمين: الربط بالمغرب الإسلامي ودورها في عصري المرابطين والموحدين، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، معهد التاريخ، 1986-1987م.

02- البياتي زهير محمود عبد جاسم: الحياة العلمية في المغرب العربي من خلال كتاب تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، رسالة ماجستير، جامعة ديالي، 2016/2015م.

03- عشي علي: المغرب الأوسط في عهد الموحدين، مذكرة ماجستير، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2012/2011م.

04- فيلاي بلقاسم: التعليم والدعوة الموحدية، مذكرة ماجستير، جامعة منتوري، قسنطينة، 2003/2004م.

05- لونس فريدة: الدور السياسي للتعليم في العهد الموحدي: رسالة ماجستير في تاريخ المغرب والمشرق الإسلامي، المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة، الجزائر، 2012/2011م.

06- مخلوطة رلى نبيه: علم العمران والتربية عند ان خلدون، رسالة ماجستير في الآداب، الجامعة الأمريكية في بيروت، لبنان، 1998م.

06-المجلات والدوريات

01- برادة رشيدة: الدور التربوي والتعليمي لمؤسسات التعليم العتيق، مجلة الجامعة المغاربية، العدد1، السنة الثانية 2007م.

02- جياي عبد الرضا حسن: أقطاب المدرسة الصوفية في بلاد المغرب والأندلس في عهد الموحدين، مجلة القادسية للعلوم الإنسانية، المجلد13، العدد2، (د ب)، 2010م.

03- السعيد قاسم علي: الحافظ المؤرخ أبو القاسم بن بشكوال شخصيته ومؤلفاته، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، المجلد 16، العدد28، شوال 1424هـ.

04- موجز دائرة المعارف الإسلامية: الآثار العلوية، ج1، ط1، مركز الشارقة للإبداع والفكر، الشارقة، 1998م.

05- وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية: مساجد مغربية عبر التاريخ، العرض الأول، مؤسسة مسجد الحسن الثاني بالدار البيضاء، المغرب 2010م.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

1	مقدمة
---	------------

الفصل الأول

الموحدون ببلاد المغرب وجهودهم التعليمية

07	أولا- جغرافية منطقة بلاد المغرب
08	ثانيا- لمحة تاريخية عن دولة الموحدين
09	1- مرحلة النشأة
12	2- مرحلة التأسيس والعظمة والاستقرار
14	3- مرحلة التراجع والسقوط
16	ثالثا- منهج ابن تومرت في التعليم
16	1- مبادراته التعليمية
19	2- أسلوبه في التعليم
21	رابعا- جهود عبد المؤمن وخلفائه التعليمية
21	1- جهود عبد المؤمن في التعليم
21	2- جهود خلفاء عبد المؤمن في التعليم

الفصل الثاني

مؤسسات وأساليب التعليم ببلاد المغرب في العهد الموحي

29	أولا - المؤسسات التعليمية
29	1- الكتاتيب
31	2- المساجد
34	3- الرباط
36	4- المدارس
39	ثانيا - مراحل التعليم ومناهجه
39	1- المرحلة الأولى ومناهجها
40	2- المرحلة الثانية ومناهجها
48	ثالثا - طرق التعليم
48	1- طريقة التلقين
50	2- طريقة السماع والقراءة
51	3- طريقة المناظرة

الفصل الثالث

العلوم وأعلامها ببلاد المغرب في العهد الموحدى

53	أولا- العلوم النقلية وأعلامها.....
53	1- العلوم الدينية
68	2- العلوم اللغوية.....
76	ثانيا- العلوم العقلية.....
76	1- علم الجغرافيات والفلك.....
77	2- علم الفلسفة
77	3- علم الرياضيات
78	4- علم الطب
81	الخاتمة.....
84	الملاحق.....
89	قائمة المصادر والمراجع.....
99	فهرس الموضوعات.....